مباحث

في

عوامل نجاح الخطيب

تأليف

د/ سعيد محمد الصاوي

أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية

بكلية أصول الدين والدعوة بطنطا

الطبعة الأولى

١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام علي أشرف النبيين والمرسلين سيدنا محمد . وعلي آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلي يوم الدين .

... أما بعد ...

فإن الله عز وجل قد أنعم علي الإنسان نعما لا تحصي ولا تعد **(وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار)**[١].

ومن أجل نعم الله علي الإنسان . أن أعطاه نعمة الحكمة والبيان . التي بها يستطيع الإنسان أن يعبر عن خلجات نفسه . ويفصح عن نبضات وجدانه . ويجسد مشاعره وأحاسيسه متميزا بها عن كل كائن سواه .

قال تعالي :-

(ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر . ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم علي كثير ممن خلقنا تفضيلا)[٢] .

وفي مقدمة هذا التكريم وعلي ذروة هذا التفضيل أن علمه النطق والبيان منذ أن خلقه وسواه.

قال تعالي :-

(الرحمن علم القرآن . خلق الإنسان علمه البيان)[٣]

---

[١] سورة إبراهيم آية ٣٤ .

[٢] سورة الإسراء آية ٧٠

[٣] سورة الرحمن من آية ١-٤ .

والناس في هذه النعمة متفاوتون في درجة التعبير والإفصاح .
كما هم متفاوتون في كل نعم الله عز وجـل ظاهرا وباطنا .
قال تعالي :-

(وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم . إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم)[١]

ومن أعرف بني آدم بقدر نعمة الفصاحة والبيان : الخطباء الذين يتأثرون بالمواقف العامة والخاصة في حياتهم . فتجيش بها صدورهم وأحاسيسهم . ثم تقذف علي ألسنتهم بلاغة وفصاحة وبيانا .

علي حد قول صحار[٢] لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه عن البلاغة: إنها شيء تجيش بها صدورنا فنقذفه علي ألسنتنا[٣]

وهذا كتاب

مباحث في عوامل نجاح الخطيب

بينت فيه بعض العوامـل والمقومـات الأساسـية . والصفـات الضرورية التي يجب أن يلتزم بها الخطيب . لكي يكون مؤثرا فـي جمهوره بكل وسائل التأثير العقلي والعاطفي إقناعا واستمالة .

---

(١) سورة الأنعام آية ١٦٥ .

(٢) هو صحار بن عياش ويقال ابن عباس بن شرحبيل بن منقذ العبدي من بني عبد القيس خطيب مفوه كان من شيعة عثمان له صحبة وأخبار حسنة وكان علامة نسابة توفي سنة أربعين هجرية .

(٣) البيان والتبيين جـ١ ص ٩٦ .

كما ذكرت بعض النصائح من كبار الخطباء والبلغاء لتكون زاداً لكل خطيب يتزود منها ما يصل به الي النجاح في حاضره ومستقبله.
وأعقبت ذلك بنماذج تطبيقية من خطابة النبي ﷺ لتكون نبراساً يسير عليه الخطباء وطلاب العلم في كل زمان ومكان .

وأسأل الله العلي القدير أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم.
وأن يوفق خطباء الإسلام للعمل بما يقولون ولما فيه صلاح الإسلام والمسلمين إنه نعم المولي ونعم النصير .
وصلي الله علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلم.

د. سعيد محمد إسماعيل الصاوي
أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية المساعد
بكلية أصول الدين والدعوة بطنطا

المبحث الأول

الخطيب ومكانته

الخطيب هو كل من يتأثر بمواقف معينة . دينية . أو اجتماعية . أو سياسية . أو اقتصادية . أو قضائية .... إلخ ٠

ويتردد صداها في نفسه إلهامات أو خيالات جياشة . فتقذفها علي لسانه ليشافه بها جمهورا من الناس يقنعه بها ويستميله إليها ٠

أ- فالخطيب إنسان يملك من صفاء النفس . وقوة الروح . وذكاء العقل . ونفاذ البصر والبصيرة ما يمكنه من التأثر بالمواقف . والتأثير فيها ٠

ب- كما أنه يملك بالإضافة الي ذلك :

القدرة علي نقل ما تأثر به إلي الغير . بالطريقة الواضحة . والأدلة المقنعة . والبراهين القاطعة . التي تستميل الغير إيجابا في حالة الأمر. أو سلبا في حالة النهي ٠

ولذا فقد عرفت الخطابة بأنها :

فن مشافهة الجمهور في أي أمر من الأمور بطريقة إلقائية بقصد إقناعهم بهذا الأمر واستمالتهم نحوه ٠

- والفن هو جميع الوسائل التي يستعملها الإنسان لإثارة المشاعر والعواطف . وبخاصة عاطفة الجمال الحسي والمعنوي . إذا لابد في الخطيب أن يكون مشافها . وإلا فهو كاتب أو صحفي ٠

- ولابد أن يكون الخطيب أمامه جمهور غفير يشافهه . وإلا كـــان متحدثا.أو موصيا. أومدرسا . أو محاضرا .
- ولابد أن يكون مدعما رأيه بالأدلة والبراهين العقليـــة والمنطقيـــة ليعتقده الجمهور ويؤمن به . وإلا كانت خطبتـــه مجـــرد انفعـــال عاطفي وجداني سرعان ما ينطفيء وذلك مثل انفعـــال المشـــاهد بالممثل .
- ولابد أن يسيطر الخطيب علي مشاعر الجمهور مالكا لعواطفـــه يصرفها كيف يشاء ...

فرحا أو حزنا ضحكا أو بكاء..... إلخ .

منزلة الخطيب ومكانته

إن منزلة الخطيب منزلة سامية فهو بمثابة الرائـــد بيـــن أهلـــه . والزعيم بين قومه . والمعلم بين تلاميذه . والقائد بين جنده .

وبالتالي فهو المسيطر علي الجماعة كلها . لأنـــه يعتـــبر لســـانها الناطق . وقلبها الفاقه . وعقلها المدبر .

وهو الذي يستطيع أن يقيمها ويقعدهـــا . وأن يحركـــها ويســـكنها بأسلوبه ولباقته .

لأنه هو القابض علي أزمة عواطفها وأحاسيسها .

ولذا . فلا غرابة أن تكون الخطابة معدودة من أهم وســـائل الســـيادة والزعامة .

فكانوا يعدونها شرطا للإمارة . لأنها تكمل الإنسان وترفعه إلـــي ذري المجد والشرف ٠

قال العلامة ابن سينا في الشفاء : -

إن الخطيب يرشد السامع إلي ما يحتاج إليه من أمور دينه ودنياه ويقيم له مراسيم لتقويم عيشه والاستعداد لميعاده ٠

وحسب الخطابة شرفا أنها :-

وظيفة قادة الأمم من الأنبياء والمرسلين صلوات اللـــــــه وســلامه عليهم أجمعين ٠

ومن علي شاكلتهم من العلماء العاملين . وعظمـــاء الملــوك وكبــار الساسة[١] ٠

وعلي هذا :

فالخطابة طريق للمجد الشخصي للخطيب ٠

كما أنها طريق النفع العام للمجتمع كله من خلال الخطيب :

فلابد أن يراعــي الخطيــب هذه المكانــة المرموقــة الســامية . وإلا اهتزت شخصيته . وضاعت هيبته . وفقــد مكانتــه . وضعــف تأثيره في جمهوره وسامعيه ٠

ولا يستطيع الخطيب أن يتبوأ مكانته . وينـــال منزلتــه . ولا أن يؤدي دوره ويبلغ رسالته ٠إلا إذا توفــرت فيــه مقومــات أساســية وضرورية . وهذا ما يظهر في المبحث الثاني . إن شاء الله تعالي ٠

---

[١] **فن الخطابة : الشيخ علي محفوظ صـ ١٦ ٠**

المبحث الثاني

مقومات الخطيب

أولا : الاستعداد الفطري :

إن الحياة مملوءة بالآمال والأعمال . وكل إنسان يستهويه عمل معين . ويتطلع لأمل محدود .

وكل عمل لابد له من دافع يدفع إليه . ماديا أو معنويا . والدافع المعنوي أقوي من الدافع المادي . بل هو الأساس المعول عليه في الإقدام علي أي عمل من الأعمال .

وأهم الدوافع هو الدافع النفسي المركوز في الفطرة التي فطر الله عليها الناس .

والناس مختلفون في استعدادهم الفطري : -

فمنهم من يكون استعداده متجها إلي الخطابة .

- ومنهم من يكون استعداده متجها إلي الكتابة .
- ومنهم من يكون استعداده متجها إلي الشعر .
- ومنهم من يكون استعداده متجها إلي التمثيل .
- ومنهم من يكون استعداده متجها إلي الرسم .
- ومنهم من يكون استعداده متجها إلي التجارة .
- ومنهم من يكون استعداده متجها إلي الصناعة .
- ومنهم من يكون استعداده متجها إلي الزراعة .

وفي الغالب لا يصلح إنسان لأكثر من موهبة . وإذا قدر له أن يتفوق في أكثر من موهبة لابد أن يتفوق في جانب علي آخر .

أهمية الاستعداد الفطري للخطيب

الشخص الموهوب في أي مجال . أقوي وأقدر عليه من غير الموهوب فيه .

والخطيب شأنه شأن أي صاحب موهبة . لابد أن يكون عنده وازع داخلي . يدفعه نحو الخطابة . أو استعداد فطري يؤهله لهذا الفن البليغ البديع .

ونحن نعلم أن الناس متباينون في ميولهم وفي استعدادهم . فمنهم من لا تهزه المناظر الرائعة أو المروعة .

ومنهم من يصمت أمام هذه المناظر . دهشا . مذهولا .

ومنهم من تجيش بالأحاسيس نفسه . فيعبر عن جيشانه بكلمات مصورة لما يحس .

والخطيب والشاعر والكاتب من هؤلاء الذين إذا ما ثارت عواطفهم فسحت لها متنفسا . فعبروا . وصوروا .

وفي بعض تعاريف البلاغة ما يؤكد أنها فطرة في البلغاء .

فأبو الحسن الرماني يقول : أصل البلاغة الطبع – الفطرة – وصحار بن عياش العبدي يجيب معاوية . وقد سأله : ما هذه البلاغة التي فيكم ؟

بقوله شيء تجيش به صدورنا فتقذفه علي ألسنتنا[١].

كما يقول الإمام محمد أبو زهرة عن الخطابة :

{ هي راسخة في نفس المتكلم . يقدر بها علي التصرف في فنون القول . لمحاولة التأثير في نفوس سامعيه . وحملهم علي ما يـواد . بترغيبهم وإقناعهم }[٢].

وعلي هذا يتضح أن :-

أ- الاستعداد الفطري . أو الوازع النفسي الداخلي . مقوم أساسي . وشرط ضروري في إعداد الخطيب . وتكوين شخصيته ،

وقد يتقن إنسان ما . قواعد علم الخطابة . وأصوله . وكل ما يتعلق بها . إلا أنه ليس عنده الوازع الداخلي . أو الاستعداد الفطري للخطابة ،

فكل ما تعلمه من قواعد وأصول الخطابة . لا يمكن أن يجعل منه خطيبا . موهوبا . وبارعا ،

وقد قيل للجاحظ – وهو من أكبر أدباء عصره . والعصور التالية . وقد روي فنون الشعر قديما وحديثا-

لماذا لم تقل الشعر ؟

فقال : أنا مشحذ لاسكين[٣] أي أنه ناقد للشعر . وليس شاعرا ،

---

(١) البيان والتبيين : الجاحظ ج ١ ص ٥٤ ، وفن الخطابة : للحوفي ص ١٠ ،
(٢) الخطابة ص ١٩ ،
(٣) الدعوة والخطابة : علي عبد العظيم ص ١٧ .

وقيل للخليل بن أحمد :

لماذا لا تقول الشعر . وقد وضعت عروضه . وأبدعت بحوره . وقوافيه ؟!

قال : يأبي علي جيده . وآبي علي نفسي رديئه[١] .

وجاءه أحد الراغبين في صياغة الشعر . فلم يجد الخليل عنده موهبة الشعر .

فقال له : زن هذا البيت عروضيا :-

إذا لم تستطع شيئا فدعه ... وجاوزه إلي ما تستطيع .

فأدرك الطالب فحوي كلام الخليل . وانصرف عن تعلم فنون الشعر .

فالموهبة الفنية . هي أساس كل نجاح وفلاح . وإن وقفت في طريقها العقبات[٢].

ب – كما يتضح أن الاستعداد – وحده – يذبل . ويضعف . ثم يتلاشي . ويموت .

-لذا كان ضروري لنمو هذا الاستعداد الفطري وهذه الموهبة من:-

---

(١) السابق ص ١٧ .

(٢) السابق ص ١٧ ، ١٨ .

ثانيا : - الدربة المتوالية -

إن الخطابة موهبة تصقلها الدراسة المتواصلة وينميها المـــران العلمي المتوالي . حتي تنمو وتزدهر وتؤدي ثمارها المرجوة . لأن اللسان عضو . إن مرنته مرن . فهو كاليد تخشـــنها بالممارســة . وكالبدن تقويه برفع الحجر . والرجل إذا عودت المشي مشت[١] .

وقد ذكر الجاحظ أن : -

{ رأس الخاطبة : الطبـــع - الفطـــرة - وعمودهـــا : الدربـــة . وجناحاها: رواية الكلام ، وحليها : الإعراب ، وبـــهاؤها : تخـــير اللفظ . والمحبة مقرونة بقلة الاستكراه }[٢].

وقد أدرك قيمة الدراسة والدربة والمران وما لها من أثر في إجـــادة الخطابة والإلقاء . كثير من أدباء العرب والمسلمين :

أ- فقالوا : - إن أردت أن تتكلف هذه الصناعة وتنسب إلي أهــــل هذا الأدب . فقرضت قصيدة . أو حبرت خطبة . أو ألفت رسالة.

فاياك أن تدعوك ثقتك بنفسك ويدعوك عجبك بثمرة عقلك إلـــي أن تنتحله وتدعيه .

---

(١) الخطابة للشيخ علي محفوظ ص ١٥ .
(٢) البيان والتبيين ج ١ ص ٢٦ .

ولكـــن اعرضه علي العلماء في عرض رسائـــل أو أشعـــــار أو خطب فإن رأيت الأسماع تصغي له . والعيون تحــــدج إليـــه . ورأيت من يطلبه ويستحسنه فانتحله .

فإن كان ذلك في ابتداء أمرك وفي أول تكلفك فلم تر له طالبـــاً ولا مستحسناً فلعله – ما دام ربضاً قضيبـــاً . تعنيســـاً[١] أن يحـــل عندهم محل المتروك .

فإن عاودت أمثال ذلك مراراً فوجدت الأسماع عنه منصرفـــة والقلوب لاهية . فخذ في غير هذه الصناعـــة واجعل رائدك الـــذي لا يكذب : حرصهم عليه أو زهدهم فيه .

وقال الشاعر : –

إن الحديث تغر القوم خلوته .:. حتي يلح بهم عي وإكثار .

فلا تثق في كلامك برأي نفسك فإني ربما رأيت الرجل متماسكاً حتى إذا صار إلي رأيه في شعره . وفي كلامه . رأيتـــه متـــهافتاً وفوق المتهافت[٢] .

ب – وكان زهير بن أبي سلمي وهو أحد الثلاثة المتقدمين[٣] يسمي كبار قصائده – الحوليات –

---

(١) أمر ربض : لم يتم تدبيره . والقضيب الغصن المقطوع . والتعنيس : حبس البنت عن الزواج.

(٢) السابق ج ١ ص ٢٧ .

(٣) زهير بن أبي سلمي وحسان بن ثابت وكعب بن زهير .

وقال الحطيئة الشاعر :- خير الشعر الحولي المنقح .

وقال البعيث الشاعر[١] – وكان أخطب الناس في عهده- :-

إني والله ما أرسل الكلام قضيباً خشيباً[٢] وما أريد أن أخطب يوم الحفل إلا بالبائت[٣] المحكك[٤] .

وكان الأصمعي[٥] يقول :- زهير بن أبي سلمي ، والحطيئة ، وأشباههما عبيد الشعر –

وكذلك كل من يجود في جميع شعره ويقف عند كل بيت قاله وأعاد فيه النظر حتى يخرج أبيات القصيدة كلها مستوية في الجودة[٦] وقد سميت قصائد زهير بن أبي سلمي بالحوليات لأنه : كان يصوغ القصيدة في أربعة أشهر . وينقحها ويهذبها في أربعة أشهر . ثم يعلنها ويعرضها علي من يثق من النقاد في أربعة أشهر أخر . ثم ينشرها علي الملأ بعد ذلك . ولهذا سميت قصائده بالحوليات .

---

(١) البعيث : لقب له واسمه خداش بن بني مجاشع وأمه أصبها نية يقال لها مرده وسمي البعيث بقوله:

تبعث مني ما تبعث بعد ما اسـ .:. ـتمر فؤادي واستمر عزيمي .

(٢) خشيبا أي لم يجود ، من السيف الخشيب أي الذي لم يصقل .

(٣) الثابت .

(٤) المحكك : الخالي من العيوب .

(٥) الأصمعي : هو عبد الملك بن قريب من قيس . وكان أعلم القوم وأتقنهم بالشعر . وهو من أهل البصرة . توفي سنة ٢١٤هـ – الفهرست لابن النديم صـ ٥٥ –

(٦) الجاحظ ج ١ ص ١١٤ .

جـ - ويقول الشاعر الانجليزي - شيلي - :

إن الفن عرق وجهاد شاق . والخطابة من أهم فروع الفن .

ولقد أهدي القصاص الأديب - بلزاك - تجربة أقصوصة كتبها وراجعها ونقحها وأملاها بالإصلاحات . إلي صديقه المثال - دايفيد - وذيلها بقوله :

ليس النحت مقصوراً علي النحات وحده .

د - ولقد كتب الشاعر توماس جراي قصيدته - مرثية في فضاء كنيسة بالريف - وأعاد صياغتها خمساً وسبعين مرة حتى رضي عنها . وهذه المسودات الخمس والسبعون محفوظة جميعها بالمتحف البريطاني[١] .

هـ _ وقديماً قال الشاعر العربي :

نار البديهة نار غير منضجة .:. وللبديهة نار ذات تلويح

وقد يفضلها قوم لسرعتها .:. لكنها سرعة تمضي مع الريح

وقال غيره :

والقول بعد الفكر يؤمن زيفه .:. شتان بين روية وبديه[٢] .

---

(١) الدعوة والخطابة ص ١٨ ، ١٩ .

(٢) المراد بالروية : التأني والدراسة والمران أو التحضير .والمراد بالبديه : الفطرة والسليقة أو الارتجال دون سابق تحضير .

و – لذا كان بعض الخطباء المشهورين يقفون في مستهل حياتهم أمام المرآة ويتخيلون أن أمامهم جمهوراً يستمع إليهم ويلقون عليه ما أعدوه من خطب . ويلاحظون حركاتهم وسكناتهم وينقدون أنفسهم دون تحيز أو محاباه ثم يخطبون أمام أصدقائهم . ويستمعون لملاحظاتهم . وينتفعون بهذه الملاحظات[١] .

ز – ويروي المؤرخون الجهود المضنية التي بذلها ديموستين – خطيب أثينا المشهور – في تذليل ما اعترضه من صعاب فقد شعر بأنه موهوب نفساً طموحة إلي التحليق . ولكن ينقصه الكماليات البيانية .

فصمم علي أن يناضل حتي يصل إلي القمة التي يريدها . وبدأ رياضة شاقة بعزيمة لا تعرف اليأس .

ويروي المؤرخ – بلوتارك – أن ديموستين شَيَّدَ لنفسه حُجْرَةً تحت الأرض كان ينفرد فيها ليتمرن علي الخطابة .

وكان يقف أمام المرآة ليتخير الإشارات المناسبة وقت الإلقاء . وكان يضع الحصي في فمه وهو يتكلم ليحل عقدة لسانه .

ويصعد الجبل عَدْواً وهو ينشد أبياتاً من الشعر بصوت مرتفع . أو يقف علي ساحل البحر ويرفع صوته بالكلام حتى يطغي علي هدير الأمواج .

---

(١) الدعوة والخطابة ص ١٨ .

وكان يحلق نصف رأسه ليرغم نفسه علي ملازمـــة حجرتـه الشهر والشهرين . لا يري الناس منقطعاً إلي دراسته وتمرينه ٠

وبعد سنوات من هذه الرياضة والمران الشـاق تكلـل جـهاده بالنجاح ٠ ولم يعد يخشي الجمهور – الذي كان يسخر منه لضعـف صوته – فلما ارتقي بعد ذلك منـبر الخطابـة : ملـك الأسـماع والقلوب. ولم يلبث أن أصبح خطيب الجمعية الوطنية ، بل خطيـب أثينا الأعظم ٠

ومن عجب أن هذا اللسان الذي كان يثقل في فمه أصبح لسـان أثينا الذي ينفث السحر ويلهب الحماسة حتى قال عنه – فنيلـون – المؤرخ الكبير :

إننا إذ نسمع ديموستين لا نفكر في كلماته فهو يـبرق ويرعـد وهو سيل يجرف كل شيء يعترض سبيله . فلا نستطيع أن ننتقـده أو نعجب به . لأننا قد فقدنا السيطرة علي مشاعرنا٠٠٠٠٠.[١]

ح – ولم يتخل خطباء العروبة والإسلام عن مبدأ الدربة والمـران المتواصل صقلاً لمواهبهم وشحذا لهممهم ٠

فقد جاء في البيان والتبيين للجاحظ[٢]

(١) خطباء صنعوا التاريخ : أنور أحمد ص ٩،٨ ٠

(٢) جـ ١ ص ـ ١١٢ ٠

(ويقال :إنهم لم يروا خطيبا قط إلا وهو فى أول تكلفه لتلك المقامات: كان مستثقلا مستصلفا أيام رياضته كلها إلى أن يتقوقح وتستجيب لــه المعاني . ويتمكن من الألفاظ إلا شبيب بن شيبة(١) فإنه كان قد ابتــدأ بحلاوة ورشاقة وسهولة وعذوبة فلم يزل يزداد منها حتى صار فـــى كل موقف يبلغ بقليل الكلام ما لم يبلغه الخطباء المصاقع بكثيره.(٢)

قالوا: ولما مات شبيب بن شبيبة . أتاهم صالح المرى(٣) فى بعـــض من أتاهم للتعزية .

فقال :- رحمة الله على أديــب المــلوك. وجليــس الفقـــــراء . وأخى المساكين.(٤)

وقال الراجز:(٥)

إذا غدت سعد على شبيبها .:. على فتاها وعلى خطيبها

---

(١) هو شبيب بن شيبة بن عبد الله بن الأهتم . كان من رهط خالد بن صفوان وكان بينهما منافسة شديدة ،

(٢) البيان و التبيين ج١ ص١١٢

(٣) هو صالح بن بشير بن وداع المرى .أبو البشر البصرى . القاضى الزاهد . أحد رواة الحديث. كان مملوكا لامرأة من بنى مرة بن الحارث فأعتقته. توفى سنة ١٧٢ .أو ١٧٦ هـ

(٤) البيان و التبيين ج ١ ص١١٣ .

(٥) أبو نخيله الراجز . ويروى أبو الفرج : من سبب الرجز. أن أبانخيلة رأى على شبيب حلة فأعجبته . فسأله إياها .فوعده فمطله . فقال فيه :-

يا قوم لا تسودوا شبيبا   الخائن بن الخائن الكذوبا

هل تلد الذيبا إلا الذيبا

قال : فبلغه ذلك . فبعث إليه بها . فمدحه بهذا الرجز :- الذى قاله بعد موته .

من مطلع الشمس إلى مغيبها .:. عجبت من كثرتها وطيبها(١)
ط:- ونظرا لأهمية الدربة والمران المتواصل وأثره في نجاح الخطبة والخطيب .
يؤكد علماء النفس المعاصرون أن أول وآخر طريقة فعالـــة لتوليـد الثقة بالنفس فى فن الخطابة . هى أن تقف و تخطب !!
ويختصر الأمر كله بكلمة أساسية هى :-
الممارسة . الممارسة.ثم الممارسة { الشيء الذي لا يتم بدونه شيء }.
يقول روزفلت(٢) محذرا:- إن أي مبتدئ معرض لحمى الكلام . وهذا معناه :- حالة هياج عصبى شديد يترتب عليها أن يطلـــق الشـــخص الخطابة كلية. وهذه الحالة قد تؤثر فى الشـــخص فـــى أول موقـــف خطابـــي له أمـــام جمهور كبير مـــن السامعين . ومثل هـــذا الرجـــل لا تنقصه الشجاعة . ولكن ينقصه ضبط الأعصاب. ورباطة الجأش.
يجب عليه – عن طريق التعود والتدريب المتوالي على ضبط النفـــس – أن يجعل أعصابه باستمرار خاضعة لسيطرته . وهذا أمر مرده فى معظم الحالات إلى العادة . يعنى أنه جهد معتاد وتدريب متكرر لقـــوة الإرادة . فإذا كان لدى الشخص المادة الملائمة. فإن قوته ستتزايد مـــع كل تدريب(٣)

---

(١) البيان والتبيين ج١ ص١١٣ .
(٢) هو رئيس أمريكا فى الفترة ما بين ١٩٠١ - ١٩٠٨ م .
(٣) التأثير فى الجماهير عن طريق الخطابة : ديل كارينجى ص ١٩-٢٠.

ويستطيع مواجهة الجمهور بكل شجاعة واقتدار . ومثل هذا الشـــخص بحاجة ملحة إلى التخلص من الخوف من المستمعين . فليبحث إذا عن أسبابه لئلا يقع فيه.

يقول الأستاذ روبنصن فى كتابه – تكوين العقل – ينجم الخـــوف عن الجهل والحاجة إلى الثقة . ولكن ما سبب ذلك ؟ !!

إن هذا بدوره نتيجة لعدم معرفة ما تستطيع عمله على وجه الدقة.

والسبب في هذا الأخير . حاجتك إلى التجربة . وعندما تحصل علـــى تجربة موفقة فإن جميع مخاوفك تختفي وتذوب .كما يـــذوب ضبـــاب الليل تحت وهج الشمس .هناك شيء واحد مؤكد . هو إنـــك إذا أردت تعلم السباحة فيجب عليك أن تلقى بنفسك فى الماء.

اختر موضوعا تلم ببعض جوانبه وكون منه خطابا يســـتغرق ثـــلاث دقائق .وتدرب على هذا الخطاب بنفسك عدة مرات . ثم قم بإلقائـــه أمام نفرين من أصدقائك.وركز في هذا العمل كل جهدك وقوتك .(١)

وثابر على التدريب الذكي يمكنك أن تتأمل بأن تستيقظ ذات صباح. وتجد نفسك أحد أبرز الخطباء في مدينتك أو قريتك .

وقد مر بك أمثلة ممن كانوا يأخذون أنفسهم بالمران والتدريب العملي المتواصل حتى وصلوا إلى القمة في الخطابة . وفن الإلقاء.

---

(١) التأثير فى الجماهير عن طريق الخطابة :ص٢٠ .

ومواجهة الجماهير. بل كانوا مضرب الأمثال في هذا الفـــن .ومـــن أبرزهم - ديمو ستين- خطيب أثينا المشهور .

كيفية التدريب العملي المفيد في الخطابة :

إن الخطيب الذي يريد لنفسه النجاح . وبلوغ القمة في فن الخطابة.لابد أن يدرب نفسه ويروضها على إتقان هذا الفن.

ورياضة النفس على الخطابة تكون بأمور كثيرة :

بعضها يتعلق بالفكرة التي يدور حولها موضوع الخطبة ٠

وبعضها يتعلق بالأسلوب والتعبيرات.

وبعضها يتعلق بالإلقاء و ما يتعلق به من وقفة و إشارة وغيرها .

وذلك لأن الخطابة : فكرة . وأسلوب . وإلقاء محكم .

فالتدريب المتعلق بالفكرة :

- أن يعود الخطيب نفسه ضبط أفكاره ووزن آرائه . وعقـــد صلـــة بينها وبين ما يجرى في شئون الناس . وعامة أمورهم ليكون على بصيرة بأهمية القول الخطابي إن وجدت دواعيه .
- ومنه أن يكون كثير التأمل في شئون الحياة . عميق الفكرة فيها . كثير الدراسة لأحوالها وأن يعود نفسه الاتصال بالناس .

ليخلط نفوسهم بنفسه فيحس بإحساسهم . ويكون قريبا منهم .إن وجـــد ما يدعو إلى خطابهم .

والتدريب المتعلق بالأسلوب :-

أن يتحدث بجيد الكلام .أو يكتبه كثيرا.

وأن يكون من مرانه الخطابي محاكيا البلغاء في أساليبهم .

أو مقتبسا منهم . أو سائرا في مثل دربهم .

و التدريب المتعلق بالإلقاء :-

أن يعود نفسه إخراج الحروف من مخارجها و أن يقرأ ما يستحسنه بصوت مرتفع . مصورا بصوته معاني ما يقرأ .بتغيير النبرات وبرفع الصوت وخفضه .

وأن يغشى الجماعات و المحافل التي تكون ميادين خطابه .

وإذا عنت له فكرة . ووجد الفرصة سانحة فليقل غير هياب و لا وجل ولا مستحى . فإن الاستحياء في هذا النوع من الضعف. وهو يجر إلي الحبسة وموت المواهب .

وعليه أن يقول مرتجلا ما استطاع إلى ذلك سبيلا.

وإن ضعف أسلوب ارتجاله. أو أصابته حبسة مرة .لاييأس من أن يجيد مرتجلا. فقد يصير له عدة وشأنا.

وبالجملة فإنه يجب على كل خطيب أن يروض نفسه على الخطابة الجيدة . حتى تصير له شأنا.

وقد قال الجاحظ في هذا التدريب المفيد كلمة محكمة فى

كتابه البيان والتبيين [١]:-

{ وأنا أوصيك ألا تـــدع التماس البيـــان و التبيين. إن ظـــننت أن لك فيهمـــا طبيعـــة . وأنهمـــا يناسبانـــك بعض المناسبـــة . ويشـــاكلانك بعض المشـــاكلة.ولا تهمـــل طبيعتـــك . فيستولـــي الإهمال علـــى قـــوة القريحـــة . ويستبد بها ســـــوء العـــادة وإن كنـــت ذا بيـــان .وأحسست من نفسك بالنفوذ فـــي الخطابـــة والبلاغـــة . و بقوة المنة يـــوم الحفل فلا تقصر فـــي التماس أعلاها في البيان سورة .وأرفعها في البيان منزلة }

وليست الدربة والمران مقصورة على المبتدئ في الخطابة . بل هـــي لازمة لمن شدا فيها . وعظم أمره. وعد من أفصح الخطباء. فقد كـــان شيشرون أخطب خطباء الرومان يتمرن على إلقاء الخطبة قبل أن يقدم على إلقائها .و كانت تلك حاله حتى قتل[٢]

إذا لابد للخطيب – المبتدئ و المتمرس – من التدريب العملي .

والدراسة المتواصلة . و إعداد نفسه لمواجهة الجماهير.

ولابد له أيضا أن يتوقع الفشل مرات كثيرة .

---

(1) البيان والتبيين ج١ ص١١٢ والخطابة للشيخ أبى زهرة ص٢٦،٢٧ .

(٢) الخطابة : أبى زهرة ص٢٧

فشأنه في ذلك شأن كل متعلم .يسقط مرة . وينهض أخرى . حتى يتم تكوينه و دربته[١].

ومما سبق يتضح عدة أمور من أهمها:-

١- الخطابة موهبة قبل أن تكون تجربة .

٢- كثير من الناس من يتقن فن الخطابة نظرياً. و لا يجيدها عملياً لعدم ارتكازها في نفسه بالموهبة و الاستعداد النفسي . كموقف الجاحظ و الخليل بن أحمد من الشعر مثلاً.

٣- أهمية التدريب العملي على الخطابة . خاصة للخطباء الناشئين.

٤- الإيمان بتوقع الفشل و النجاح لكل خطيب فى بداية عهده بالخطابة و مواجهة الجماهير . و هذا يتطلب أن يكون عند الخطيب:-

ثالثا : الثقة بالنفس

من أهم مقومات الخطيب . وعوامل نجاحه. بعد الاستعداد النفسي الفطرى و التدريب العملي المتواصل : الثقة بالنفس . وهى تعنى عدة أمور منها :-

١- إيمان الخطيب و اقتناعه بخطبته.

٢- عدم القلق بشأن نجاح الخطبة .

٣- التصميم والإصرار في مواجهة المواقف .وعدم التفكير فى

---

[١] الخطابة د. عبد الجليل شلبى ص٤٢ .

الهزيمة تجاه أي موقف منها .

٤- التفكير في النجاح و الرغبة فى الفوز بالمأمول .

و إليك التفصيل :-

الأمر الأول :- إيمان الخطيب و اقتناعه بما يتحدث فيه مع الناس .

وهذا الإيمان والاقتناع . يجعله متأثراً بخطبته. ومؤثراً بها فى غيره .

ومن الأمور البديهية المسلم بها : أن مالك الشـــيء يســتطيع أن يعطى منه غيره . وأن فاقد الشيء لا يعطيه . فلا يؤثر إلا المتأثر ولا يقنع إلى المقتنع . فكلما زاد إيمان الخطيــب و تــأثره بموضوعـــه . يستطيع أن يؤثر به في غيره .وكلما ضعف إيمان الخطيـــب وتـــأثره بموضوعه . تأثر بذلك فهم النـــاس لقيمـــة الموضـــوع . وتشـــعبت نظـــرتهم للخطـــيب وخطبته .مما يكون له أسوأ العواقب علـــى ثقـــة الخطيب في نفسه.

وعلى هذا : فمهمة الخطيب ليست الكلام - وإن جاز ذلـــك فـــي عصور التدهور والانحطاط -ولكنها إبلاغ رسالة يؤمن بها . ويتغلغـل نورها في كيانه . ويختلط فيها دمه بإيمانه. فهو إذا تحدث عـــن شـــئ ينفعل به. ويثق من نفسه تجاهه.

الأمر الثاني :-كما تعنى الثقة بالنفس أيضا:

عدم قلق الخطيب بشأن نجاح خطبته .

لذا ينصح عالم النفس الشهير - وليم جايمس- الأستاذ بجامعة هارفارد قائلا:-

ينبغي أن لا يشعر الشباب بأي قلق نحو نتيجة تعليمه مهما كان اتجـــاه هذا التعليم.إلا أنه لو أخلص دائما في العمل . كل ساعة من ساعات النشاط .لاستطاع أن يترك وهو آمن النتيجة النهائيـــة تدبـــر نفســـها بنفسها.وهو يستطيع أن يعتمد على أنه سوف يستيقظ فى صباح يـــوم ليجد نفسه عنصرا من عناصر جيلـــه مـــهما كـــانت المهنـــة التـــي اختارها.[١]واستنادا إلى كلام الأستاذ جيمس :-أستطيع أن أذهب إلـــى أبعد من ذلك فأقول :-أنك لو اتبعت بإخلاص وحماسة.هذه الدراســـة الشخصية للخطابة .وداومت على التدرب بذكاء.لأمكنك أن تأمل فـــي ثقة أنك ستستيقظ في صباح يوم مشرق لتجد نفسك خطيبا يشار إليـــه بالبنان في مدينتك أو قريتك.[٢]

وحضر ستوكس حاكم نيوجرسى السابق الحفلة الختامية لدراســـة الخطابة في مدينة -ترنيتون-وقد لاحظ أن الخطب التي ســـمعها مـــن الطلبة في ذلك المساء قوية.وكان هؤلاء الطلبة من رجـــال الأعمـــال .كان الخوف من مواجهة الجماهير يعقد ألسنتهم قبـــل ذلـــك بشـــهور قلائل٠٠٠٠٠ ومع ذلك :- استيقظوا في صباح يوم ليجدوا أنفسهم من بين الخطباء القادرين في مدينتهم.[٣]

---

(1) التأثير فى الجماهير عن طريق الخطابة ص٨٢ ،
(2) السابق ص٨٢ ،
(3) السابق ص٨٢ ،

وينحصر لب المشكلة فى نجاحك كخطيب في أمرين فقط:-

الأول:-مقدرتك الفطرية.

الثاني :- عمق رغبتك وشدتها.

ويقول الأستاذ جيمس في هذا المعنى :أن غرامك بموضوعك-وبكل موضوع تقريبا-هو الذي ينقذك .فإن عانيت عناية كافية بالنتيجة .فكن على ثقة من أنك واصل إليها.-إن شاء الله تعالى -فإن أردت أن تكون غنيا أو مثقفا أو صالحا.فستكون كذلك .ولكن يشترط حينئذ أن تكون رغبتك حقيقية وقوية .وأن ترغب في شئ واحد دون غيره.[١]

وكان يمكن للأستاذ جيمس أن يضيف إلى ذلك حقيقة أخرى مماثلة :- إن أردت أن تكون خطيبا جريئا.فسوف تكون خطيبا جريئا.ولكن يجب أن تكون راغبا في ذلك رغبة أكيدة وحقيقية.

ثم يقول ديل كارينجى:-لقد عرفت وراقبت مراقبة دقيقة آلاف من الرجال و النساء يحاولون الوصول إلى الثقة بالنفس .والقدرة على الحديث أمام الجماهير.فكان الذين نجحوا.من أوساط المواطنين العاديين الذين تقابلهم في مدينتك .ولكنهم ثابروا على كسب الثقة بأنفسهم .حتى وصلوا إلى القمة .[٢]

---

(١) السابق ص٨٣ ويلاحظ أن الإنسان إذا رغب فى أكثر من شىء.فإنه يتقن شىء على حساب الأشياء الأخرى .

(٢) السابق ص٨٣ .

الأمر الثالث:-كما تعنى الثقة بالنفس كذلك :-التصميم والإصرار على مواجهة الأمور .وعدم التفكير فى الهزيمة تجاه أي موقف مهما كان . يحكى ديل كارينجى قائلا:-

خرجت في صيف أحد الأعوام لأتسلق قمة من قمـــم جبـــال الألـــب النمساوية تسمى -ويلدر كايزر-وكان تسلقها عسيرا جدا.ولابــد مــن وجود دليل مع المتسلق الهاوي -وكنت أنا وصديقي بيد كر.من الهواة. ولذا سألنا صديق ثالث:عما إذا كنا نأمل في النجاح .فأجبت لا شك فى هذا .فقال مستفسرا:-وما الذي يدعوك إلى هذا الظـــن ؟قلــت هنـــاك آخرون قاموا بهذا العمل دون أن يكون معهم أدلاء .ولذا أعـــرف أن هذا العمل في نطاق المعقول.ثم إنني لم أقم بعمل أي شئ قط.و فـــي ذهني فكرة الإخفاق.[1]

والخطيب - وخاصة المبتدىء الهاوى - ليس إلا كمتسلق جبال الألب .هذا هو الإحساس الملائم.والتحليل النفسى لعمـــل أى شـــىء .مـــن الخطابة فى الجماهير إلى تسلق الجبال.!!

الأمر الرابع:-كما تعنى الثقة بالنفس أيضا:-التفكير بالنجاح والرغبـــة فى الفوز بالمأمول:-لكى تكون خطيبا ناجحا:فكر فى النجـــاح.تخيـــل نفسك تخطب فى الناس بثقة كاملة فى نفسك.اعتقد أن فـــى مقـــدورك عمل هذا النجاح . اعتقد أنك لابد ناجح . فحينئذ ستفعل كل ما يقودك

---

[1] السابق ص٨٤ .

إلى النجاح .إن أثمن شيء يحصل عليه الخطباء من التدريـــب علـــى الخطابة هو :ازدياد ثقتهم بأنفسهم .واعتقادهم الزائد فـــى مقدرتـــهم على الوصول إلى هذه الثقة .وتحقيق رغبتهم فى النجاح .
ويستطيع الإنسان أن يحقق ذلك باتباع منهج علمي أوصى به علمـــاء النفس في هذا المجال.

وهنا نصيحة حكيمة أوصى بها-ألبرت هاربرد-إذا لم يأخذ بـــها الرجل أو المرأة العاديين -فضلا عن الخطباء - ويعيشا الحكمة الكامنة في أعماقهما فإنهما لن يستطيعا أن يعيشا حياة أسعـد وأغنى.
ومضمون هذه النصيحة :-

كلما خرجت من بيتك ارفع رأسك عاليا واملأ رئتيك عن آخرهما . حى أصدقائك بابتسامة. وضع روحك في يديك كلمـــا شـــددت علـــى أيديـــهم .

لا تخف من سوء فهم الناس لك ولا تضيع دقيقة واحـــدة فى التفكـــير في أعدائك . حاول أن ترسخ في عقلك ما تريد عمله . ومن ثمة تقدم مباشرة نحو هدفك . دون ميل أو انحراف عن وجهتك . داوم التفكـــير في الأشياء العظيمة . التي تريد تحقيقها .فتجد بمرور الأيـــام نفســك قابضا على الفرص السانحة لإشباع رغبتك . تماما كشعب المرجان . تستمد من التيار الجاري ما تحتاجه من عناصر . ارسم في عقلك ذلك الشخص القادر المتحمس النافع .الذي ترغب في أن تكونه .وتخيل أن

الفكرة التي تتبناها ستحولك من هذا الشخص الذي يشار إليه بالبنان ٠٠٠٠وجميع الأشياء تتحقق عن طريق الرغبة . وكل صلاة مخلصة لابد أن تجاب ، إننا نتشكل كما تكون قلوبنا ٠٠٠٠ [١]

إن نابليون . ولنجتون . ولي . وجرانت . وفوش .وجميع العظماء من القادة العسكريين . أدركوا أن إرادة الجيش في الظفر . وثقته في قدرته على الانتصار . تفعلان أكثر من أي شئ آخر في تحقيق النجاح .

وقال المارشال فوش :

إن تسعين ألف رجل مقهورين .تراجعوا أمام ألف رجل قاهرين . لأنهم لم يعودوا يعتقدون في النصر . فانهاروا بعد أن انهارت مقاومتهم المعنوية .[٢]وبعبارة أخرى :لم ينهزم التسعون ألف رجل بدنيا. ولكنهم هزموا نفسيا. لأنهم فقدوا شجاعتهم وثقتهم بأنفسهم .

فلم يعد هناك أمل لجيش كهذا . ولا أمل كذلك لرجل من هذا الطراز .[٣]

- كذلك كان الكاهن - فريزر - المجند بأسطول الولايات المتحدة الأمريكية . يعقد مقابلة شخصية مع أولئك الذين يرغبون في تقييد

---

(١) السابق ص٨٥-٨٦ .
(٢) السابق ص٨٦ .
(٣) السابق ص٨٦ .

- اسماتهم في كشوف المطلوبين للخدمة الدينية . إبان الحرب العالمية الأولى . لما سئل عن الصفات الضرورية التي يجب توافرها لنجاح كاهن الأسطول أجاب بالآتي :-

الرقة. والمهارة . والثبات . والجرأة -[١]

وهذه الصفات إذا كانت ضرورية لرجل الدين غير المسلم المشارك فى الحرب ،

فهى أشد ضرورة لعالم الدين المسلم الذى يشارك فى جميع المجالات التى يأمره بها الإسلام لتنظيم كل شئون الحياة . وفى مقدمتها-الخطابة- فيجب على الخطيب أن يتصف بها. ويجعلها شعاره فى كل تصرفاته. ومواقفه.

ويجعل من قصيدة - روبرت سرفيس- رائده فى كسب الثقة بالنفس . لنجاحه كخطيب. ومما جاء فى هذه القصيدة :

عندما تضل طريقك فى القفار.وينتابك الرعب كالطفل.

أطلق غدراتك ،،،،،،ثم مت.

ولكن شريعة الرجل تقول :ناضل ما استطعت .

ولا تدع لانهيار روحك سبيلا.

لقد ضقت بهذه اللعبة!ولكن هذا عار!

أنت شاب . وأنت شجاع . وأنت ذكى.

---

[١] السابق ص ٨٦ ،

لقد وقع عليك غبن! إننى أعرف. ولكن لاتصرخ. من اليسير أن تبكى لأنك هزمت. ثم تموت.

ولكن إن ناضلت . وناضلت عندما يختفى الأمل. فهذه لعبة تفوق كل اللعب !

حاول محاولة أخرى .. فما أيسر أن يموت الميت!

ولكن المحافظة على الحياة هى الأمر الشاق:-[١]

وقال شاعر آخر:-

إن اعتقدت أنك غلبت على أمرك. فأنت كذلك !

وإن اعتقدت أنك لاتجسر . فأنت كذلك!

وإن أردت أن تنجح . ولكن اعتقدت أنك عاجز فتأكد أنك لن تستطيع النجاح !

أن الحياة معارك لا يكسبها دائما الأقوى أو الأسرع.

ولكنها عاجلا أو آجلا تخضع للرجل الذى يعتقد أنه يستطيع![٢]

تلك هى أهم عوامل النجاح ومتطلباته فى أى عمل يقوم به الإنسان فى أى مجال من مجالات الحياة. وفى مقدمتها : الخطابة.

فيجب على الخطيب أن يعلمها جيدا.ويجسدها عمليا. بشتى السبل والوسائل . ليصل إلى النجاح المنشود .

---

(1) السابق ص٨٦-٨٧ .

(2) السابق ص ٩٨ .

مكونات الثقة بالنفس

عرفنا مما سبق أن الثقة بالنفس هى أساس نجاح الخطيب فى خطبته. ويتحصل عليها الخطيب -خاصة المسلم - بأمور من أهمها:-

أ- إعداد الخطبة إعدادا سليما. مبنيا على الأسس العلمية السليمة. والمصادر والمراجع الصحيحة.

ب- ثقة الخطيب فى توفيق الله تعالى له . ونصره إياه.

ج- الإيمان القوى . والعزيمة الصامدة . والثبات على الحق المبين والجهر به. دون أن يخشى لومة لائم.

قدوة الخطيب في مبدأ الثقة بالنفس

إن الخطيب يأخذ الأسوة والقدوة فى هذا المبدأ ممن سبق . وكان له اليد الطولى فى الاعتزاز بالثقة فى النفس والثبات على المبدأ مهما كانت قوة الآخرين.

١- فللخطيب-- وخاصة المسلم -الأسوة فى رسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم فى دعوته .

وفى خطابته **((لقد كان لكم فى رسول الله أسو ة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا))**[١] .

وقد علمنا ﷺ مبدأ الثقة بالنفس . والإصرار علي الحق .

---

[١] سورة الأحزاب آية ٢١ .

يوم أن ساومه القرشيون علي النبوة والرسالة عن طريق عمه أبي طالب فوقف أمام عمه قائلا : -

{ والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري . علي أن أترك هذا الأمر . ما تركته . حتي يظهره الله أو أهلك دونه } .

٢ - كما أن للخطيب - وخاصة المسلم - الأسوة والقدوة في كل رسل الله تعالى .

أ- فهذا سيدنا لوط عليه السلام . يأوى إلى الركن الشديد. وهو ركن الله تعالى . القوى الذى لايضعف . العزيز الذى لايذل. المتين الذى لايغلب . القادر الذى لايقهر.

بعد أن علم من قومه الجهل والطغيان . فقال لهم :-

((لو أن لى بكم قوة . أو آوى إلى ركن شديد . قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك . فأسر بأهلك بقطع من الليل . ولا يلتفت منكم أحد إلا إمرأتك . إنه مصيبها ما أصابهم . إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب؟ [٢]

ب-وهذا سيدنا شعيب عليه السلام خطيب الأنبياء

يقول له قومه :-

((قالوا : ياشعيب ما نفقه كثيرا مما تقول .

وإنا لنراك فينا ضعيفا.

---

[2] سورة هود : ٨٠،٨١ .

ولولا رهطك لرجمناك .

وما أنت علينا بعزيز))[١]

فلا يأبه شعيب عليه السلام بهذا التهديد . ولا يخاف ذلك الوعيد لثقته بنفسه . وبنصر الله تعالى له .

ولكن يشحذ همته . ويقوى عزيمته وثقته بنفسه.

ويمضى فى دعوته قائلا:

((ياقوم . أرهطى أعز عليكم من الله . واتخذتموه ورائكم ظهريا . إن ربى بما تعملون محيط . ويا قوم اعملوا على مكانتكم إنى عامل سوف تعلمون . من يأتيه عذاب يخزيه . ومن هو كاذب وارتقبوا إنى معكم رقيب ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا. وأخذت الذين ظلموا الصيحة . فأصبحوا فى ديارهم جاثمين . كأن لم يغنوا فيها . ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود))[٢]

ج- وهذا سيدنا هود عليه السلام يقف فى دعوته موقف الثابت المتمكن من نفسه و من دعوته و من نصر الله تعالى له . فلايلين و لا يتزحزح فيقول لقومه بعد أن تخلوا عنه واتهموه بقولهم له :-

---

[1] سورة هود آية ٩١ .

[2] سورة هود آية ٩٢-٩٥ .

((إن نقول إلا اعتراك بعض الهتنا بسوء))[١]

فيرد عليهم قائلا :

((قال إني أشهد الله . واشهدوا أني برىء مما تشركون . من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون .

إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها . إن ربي على صراط مستقيم)) [٢]

هؤلاء هم رسل الله تعالي عليهم الصلاة والسلام .

وثقوا في دعوتهم إلى الله تعالى .

كما وثقوا في نصر الله لهم .

فكانت شجاعتهم في القول صبغة لازمة لهم .

وكانت الشجاعة مبعث قوتهم ونصرتهم .

فعلى الخطيب أن يتحلى بتلك الصفة . وأن يكون واثقا من نفسه .ومن نصر الله تعالى له .

ومن هانت عليه نفسه . كانت على الناس أهون.

ومن كان ذا عزة في القول والفعل . كان عزيز النفس مملوءا ثقة .

((ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين))[٣]

ولا داعي للخوف والخجل الذي يعتري بعض الخطباء .

---

(١) سورة هود :آية ٥٤ .

(٢) سورة هود : آية ٥٤-٥٦ .

(٣) سورة المنافقون :آية ٨٠ .

وننصح هؤلاء الخطباء الذين يعتريهم الخوف والخجل :

أن تكون صلتهم بالله تعالى قوية. وأن يثقوا بالله تعالى هاديا وناصرا. وأن يثقوا فى أنفسهم . ويثبتوا على مبدئهم وأن يطردوا هذا الخـــوف والخجل من نفوسهم . لأنه يذهب بهيبتهم . حيث يصابون بـــالاختلال العصبى . فيحمر اللون. ويكثر العرق ويصيبهم فزع شديد. فيتلعثـــم الخطيب . وتتبخر منه المعلومات . وتضيع منه التعبيرات .

إذا :- لابد في مخاطبة الجماهير من ثقة بـــالنفس .وجـــرأة بالغـــة . تسعف الخطيب عند المفاجآت . وتتيح له حل المشكلات .

بعض المواقف التى تؤثر على الخطيب

أولا:- هناك بعض المواقف التي يتعرض لها الخطيب . قد توهن مـن قوته . وتجعله يغير مجرى خطبته . أو يوجزها . أو يحذف بعـــض عناصرها .

- فقد يشرع الخطيب في خطبته . وبعد إلقاء بعض فقراتها يقوم من المجلس -وربما من الصفـــوف الأماميـــة -بعـــض الأشـــخاص . ويخرجون من المكان الذي يخطب فيه الخطيب .
- وقد يعرض عن الخطيب بعض السامعين . فينظر فى صحيفة أو كتاب .أو يتحدث إلى من بجانبه . ومثل هذه الأمور توهـــن قـــوة الخطيب - وخاصة المبتدئ - وتترك أثرا كبيرا من الفتور في صوته

وإلقائه . ولكن ينفعه في هذه الحال . أن يولى وجهه إلـــى الآخريـــن .وأن لا يبدى أي اكتراث بما حدث .

ومن نصائح الأقدمين :-

أنك لا تتعلم الخطابة حتى تتعلم القحة .(١)

والمراد بالقحة : - عدم المبالاة بأي شئ يكون معارضا له .

ويرجع ذلك إلى الجرأة وقوة الجنان ورباطة الجأش .

ومن نصائح المعاصرين :-

كتب أحد مشاهير علماء النفس الذين أنجبتهم أمريكا - البروفسور وليم جايمس - ما يلي :-

يبدو في الظاهر أن الفعل يأتى بعد الشعور . ولكن الواقع أن الفعـــل والشعور -أو الإحساس - يسيران معا.

وبتنظيم الفعل الذي يخضع مباشرة لرقابة الإرادة . يمكننا بطريقة غير مباشرة .تنظيم الشعور الذى لا يخضع لرقابة الإرادة . ومن ثمة فـــإن طريق التحكم الإرادى إلى الابتهاج : هو أن نظـــل مبتــهجين . وأن نعمل ونتكلم بابتهاج . كأن البهجة ماثلة الآن !! فـــإن عجــز هــذا السلوك عن جلب البهجة إلى نفسك . فليس هناك وسيلة أخرى لبلـــوغ هذا الغرض .

---

(١) الخطابة : د . عبد الجليل شلبى ص٤٠ .

ولذا : فلكي نشعر بالشجاعة يجب أن نتصرف كما لو كنـــا شـــجعانا بالفعل . ونستخدم كل إرادتنا للوصول إلى هذه الغاية . وعندئذ يغلب أن تحل نوبة الشجاعة محل نوبة الخوف.(١)

ولنطبق نصيحة جايمس . فنقول :-

لكي تشحذ الشجاعة أثناء حديثك إلى الجمهور . تصرف كـــأنك شجاع . ولكن هذا العمل لن يفيدك إلا قليلا مالم تكن مستعدا . ولكـــن لنفترض أنك تعرف كل شئ عما تريد الحديث بشأنه فـــهنا يجـــب أن تتقدم بنشاط وتتنفس تنفسا عميقا. فإن زيادة الأكســـجين ستنعشـــك . وتمنحك الشجاعة .(٢)

وقد جبل الناس دائما على الإعجاب بالشجاعة فـــى كـــل عصـــر ومصر . ولذا . فلا أهمية لدقات قلبك المتتالية تحت صدرك .

بل : ســـر منتصبا فى شجاعة . وقف راســـخا كـــأنك تحـــب الشجاعة ...انصب قامتك ... تفرس فى أعين سامعيك مباشرة .. ثـــم تكلم فى ثقة كأن لك دينا على سامعيك .- تخيل أن الأمـــر كذلـــك وتصور أنهم إنما اجتمعوا هنالك يرجونك مهلة أخرى لدفع ديونهم .

(١) التأثير فى الجماهير عن طريق الخطابة : ديل كارينجى ص١٨ .

(٢) ينصح علماء النفس بأن الخطيب يتنفس بعمق لمدة ثلاثين ثانية تقريبا قبل مواجهته لجمهور ه .فإن ذلك يفيد كثيرا جدا فى التركيز .. وفى ثقته بنفسه .

فى الأثر النفسى سيكون ذا نفع كبير لك.[١]

وخذ العبرة من مشاهير الخطباء وعلماء النفس المعاصرين .

ماذا فعل تيودور روزفلت الرئيس الأمريكى السابق .والخطيب المعاصر المشهور لتقوية شجاعته البارزة . واعتماده على النفس ؟!

هل حبته الحياة بنوع من المخاطرة والجسارة ؟!

لا. مطلقا. إنه كان صبيا ممروضا حييا.

ويعترف فى مذكراته الخاصة بذلك . فيقول :-

كنت شابا عصبيا . قليل الثقة فى جرأتى فى بادىء الأمر . فكان على أن أدرب نفسى بمشقة وجهد . لا من الناحية البدنية فحسب . ولكن من الناحية الروحية والعقلية أيضا .[٢]

ثم أخذ يبين كيف استطاع أن يحصل على هذا التحول الذى جعله من أشهر مشاهير الخطباء حيث كتب يقول :-

عندما كنت صبيا قرأت فقرة فى أحد الكتب التى كنت أتأثر بها دائما .

وفى هذه الفقرة . يشرح ضابط بريطانى صغير للبطل طريقة الوصول إلى حالة من عدم الخوف إذا خانته شجاعته -وبعدها يقول تيودور روزفلت :-

---

[1] التأثير فى الجماهير ص١٧ .

[2] السابق ص١٧ .

كانت هذه هى النظرية التى سرت عليها . وكانت هناك أشياء كثيرة أخاف منها . ابتداء من الديبة الشيباء . إلى الخيول الهزيلة . والمحاربين حملة البنادق . ولكن تصرفى كما لو كنت غير خائف أبعد عنى الخوف شيئا فشيئا.

ومعظم الناس يستطيعون أن يجربوا هذا إن أرادوا !! (١)

يقول المارشال فوش :- إن الهجوم في الحرب خير وسيلة للدفاع .(٢)

إذا فينبغي على الخطيب أن يتبع خطة الهجوم للقضاء على مخاوفه . والانتصار عليها بالإقدام المباشر فى كل مناسبة .

فلتكن له رسالة يشغل نفسه بها دائما . وبالتفكير فى كل ما يتعلق بها . - وهذه الرسالة هي موضوع خطبته . فيركز عقله فى هذا الموضوع . ويجعله في بؤرة شعوره ثم يستحضره بعمق . ثم يتحدث عنه بفقه ولباقة .

كأنه مصمم على الحديث فيه مهما كانت الظروف والأحوال .

وإذا فعل الخطيب هذا . تصبح فرصة تحكمه في موقفه الخطابي بنسبة ١٠٠% إن شاء الله تعالى .

فيجب على الخطيب أن يستفيد من هذه النصائح من علماء النفس .

---

(1) السابق ص١٩ .
(2) السابق ص١٩ .

أو من رجال الحرب . لأنها توضح أهمية الثقة بالنفس فى مواجهة الغير .

ثانيا: كثيرا ما يحدث مع الخطباء من أمور عارضة . كمقاطعة بعض السامعين له بضد ما يقول . وفى المساجد : قد يصفق بعض الحاضرين أو يحدث بعض الأمور التى توحى باستعجال الخطيب لإنهاء خطبته.

وفى مثل هذه الحالات . لا يستطيع الخطيب أن يتخلص بمجرد الانصراف بوجهه إلى الآخرين . وبتجاهل من يقاطعه . ولكن عليه أن يكون ثابتا هاديا مبديا للناس بمظهره وثباته أن هذا ليس بشيء يهتم به . ثم يستمر فى سرد الأدلة على رأيه مضمنا كلامه ردا على المعترض فى بساطة وهدوء . فهذا موقف يعتمد على الشجاعة .

ويفيد الخطيب فى هذه الحالات إشارة عابرة باليد أو الرأس لإظهار عدم اكتراثه . وبيان أن ما عورض به ليس بشيء ذى بال. ويجدى فى هذا مجرد ابتسامة أو مد شفتيه: مع استمرار حديثه.

ويفشل الخطيب كل الفشل إذا انفعل أو غضب أو بدت عليه سمات الضعف . فهو بهذا يخسر الموقف كله.

ولقد رأيت خطيبا عارضه أحد سامعيه . وشرح فساد رأيه . فصفق الحاضرون جميعا لهذا المعرض . فلما انتهى تصفيقهم وضحكهم ومظهر سخريتهم .

بدأ الخطيب فى هدوء تام يصيح بالحاضرين :

أيها السادة : إلى هنا صفقتم وضحكتم لأن هذا الرجل خدعكم بكـــلام معسول . ولكن انظروا .ههنا ما يستحق أن تتأملوه. ثم بدأ يشرح رأيه من جديد فى ثبات وهدوء . كأن لم يعترضه أحد .أو يسخر منه أحد .

إنه خطيب حقا. وإنه مصر على أن يكسب من الســـامعين عـددا قليلا أو كثيرا ولو أنه انهار فضعف وانصرف عما هو بصـــدده مـــن موضوع الخطبة . لضاعت خطبته هباء.

- ومما يروى عن المرحوم الشيخ حسن البنا - رحمه الله تعالى - أنه رشح نفسه لعضوية مجلس النواب. فأقام له أنصاره حفلا انتخابيـــا يتحدث فيه إلى جمهرة السامعين عن آرائه السياســـية . فنظـــر إلـــى الموجودين . فوجدهم بضعة آلاف . فوقف فيهم قائلا لهم:-

إنني أجل هذا الجمع الحافل عن أن أشغله بالحديث عن نفســـي أو عن أي إنسان آخر . فدعونا من حسن البنا .ولنتحدث عـــن أفضـــل النبيين . وخاتم المرسلين .وإمام الهادين المهتدين ﷺ . وألقى خطبتـــه فى شمائل الرسول ﷺ ودلائل نبوته. فأجمع خصومه وأنصاره علــــى أن خطبته كانت أبلغ خطبة انتخابية جذبت إليه جماهير الناخبين .

ولو ألقى مائة خطبة سياسية ما بلغ تأثيرها فى الســـامعين مبلـــغ حديثه عن الرسول ﷺ (١)

---

(١) السابق نفسه .

وهذا كله يدل على مدى سعة الثقافة فى هذه النماذج . بالإضافة إلى ثقتهم بأنفسهم . وسرعة بديهتهم . التى يجب على كل خطيب أن يتصف بها لتسعفه عند الضرورة .

رابعا: سرعة البديهة

سرعة البديهة موهبة فنية تسعف الخطيب فى المواقف الحرجة فقد يعترى الخطيب عارضا من العوارض يصرفه عن موضوع خطبته .

فيضيع منه الموضوع أو يرتج . فلابد أن يكون حاضر الذهن. سريع البديهة . لا يحصر . ولايتلعثم .

قال ابن عبد ربه : أحسن الجوب كله ما كان حاضرا مع إصابة المعنى . وانجاز اللفظ .

قال :وكانت قريش أسرع الناس جوابا عند البديهة. ثم بقية العرب[١] .

ومن الخير ان نسوق بعض الأمثلة :-

١- حضر عمرو بن الأهتم .والزبرقان بن بدر عند الرسول ﷺ .

فقال لعمرو:أخبرني عن الزبرقان .

فقال : هو مطاع في قومه . شديد العارضة. مانع لما وراء ظهره .

فقال الزبرقان : والله يا رسول الله . لقد علم منى أكثر من ذلك ولكنه حسدنى .

---

[١] الجاحظ جـ ١ ، صـ ٣١ .

فقال عمرو : أما والله يا رسول الله . إنه لرمــز المــروءة . ضيــق العطن أحمق الولد .لئيم الخال .

فظهر الغضب على وجه رسول الله ﷺ .

فقال عمرو : والله يا رسول الله ما كذبت فى الأولى . ولقد صدقت فى الأخرى .

ولكنى رضيت عن ابن عمى . فقلت أحسن مــا فيــه . ولــم اكــذب وسخطت عليه فقلت أقبح ما فيه ولم أكذب.

فقال ﷺ :

إن من البيان لسحرا.[١]

٢-دخل عقيل بن أبى طالب على معاوية يوما . وقد كف بصر عقيل .

فقال له معاوية :

إنكم معشر بنى هاشم . تصابون فى أبصاركم .

فقال عقيل :

وأنتم معشر بنى أمية تصابون فى بصائركم .

فقال معاوية لأصحابه . مشيرا إليه .

هذا عمه أبو لهب .

---

[١] صحيح الترمذى ج ٦ ص١٧٥ والبيان والتبيين ج ١ ص ٣١ .

فقال عقيل مشيرا إلى معاوية :

وهذا عمته حمالة الحطب . يامعاوية إذا دخلت النار فاعدل ذات اليسار . فسترى عمى أبا لهب يفترش عمتك حمالة الحطب . فانظر أيهما خير .[١]

٣- افتخر معاوية يوما على الأنصار فقال :

إن الله تعالى فضل قريشا على العرب جميعا بثلاث.

فقال لنبيه ﷺ : ((**وأنذر عشيرتك الأقربين**))[٢] .

ونحن عشيرته .

وقال له :- ((**وإنه لذكر لك ولقومك**))[٣] . ونحن قومه .

-وقال سبحانه : -((**لإيلاف قريش إيلافهم**)) [٤]. ونحن قريش.

فأجاب أحد الأنصار قائلا :- على رسلك يا معاوية . فإن الله تعالى يقول ((**وكذب به قومك**)) .[٥] وانتم قومه.

---

(١) السابق ج٢،ص٢٢٦ .
(٢) الشعراء آية :٢١٤ .
(٣) الزخرف آية :٤٤ .
(٤) قريش آية ١ .
(٥) الأنعام آية : ٦٦ .

ويقول: **ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون**[١].وأنتم قومه .

ويقول سبحانه على لسان نبيه ﷺ ((**وقال الرسول يارب إن قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا**))[٢].وأنتم قومه . ثلاثة بثلاثة . ولو زدتنا لزدناك .[٣]

٤- دخل شريك بن الأعور على معاوية فى خلافته .وكان شريك دميما قبيح الوجه .

فقال له معاوية :-

إنك دميم . والجميل خير من الدميم .

وإنك شريك وما لله من شريك .وإن أباك الأعور . والصحيح خير من الأعور .فكيف سدت قومك ؟!

فقال له شريك :-

إنك معاوية . وما معاوية إلا كلبة عوت فاستعوت الكلاب .

وإنك بن صخر . والسهل خير من الصخر .

وإنك بن حرب. والسلم خير من الحرب .

وإنك بن أمية . وما أمية إلا أمة فصغرت .

فكيف صرت أميرا للمؤمنين ؟!

---

(1) الزخرف آية:٥٧ .

(2) الفرقان آية:٣٠ .

(3) الدعوة والخطابة : على عبد العظيم ص ٣٣ .

فقال له معاوية:- حسبك يا شريك . واحدة بواحدة . والبادى أظلم[١] .

كان لويد جورج الخطيب الإنجليزى المشهور يخطب . ويعد بالحكم الذاتى . فيقول :- سنعطى الحكم الذاتى لكندا . وسنعطيه لأيرلندا. وسنعطيه .. ولم يتم الكلمة حتى قال أحد السامعين : لجهنم. فرد عليه لويد جورج بقوله :-هوذلك !! يعجبنى أن يتذكر كل إنسان وطنه [٢].

من هذا كله يظهر أن : سرعة البديهة موهبة فطرية . تنمو بكثرة القراءة وسعة الحفظ . وغزارة المعرفة . ووفرة التجربة . والاستئناس بمن اشتهروا بوفرة الذكاء .

وإذا لقيت هذه الموهبة إهمالا وانصرافا:لحقها الضعف والذبول .

وفقد صاحبها كل ما يملكه من تأثير فى الجمهور .

ولذا يؤكد علماء النفس لكل إنسان فضلا عن الخطباء أنه :

-باستطاعتك أن تحفظ قدرا لا نهاية له من المادة . إذا ما كررت هذه العملية مرات كافية . وما عليك إلا أن تقرأ المادة التى تريد حفظها . ثم أتبع ذلك بالتطبيق . واستخدم اللفظ الجديد فى محادثتك . ونادى الشخص القريب باسمه إن أردت أن تتذكره .. ....

---

(١) مجلة الهلال : عدد مارس ١٩٨٦ م ص٧٦ .

(٢) فن الخطابة : الحوفي ص ٢٥ .

لأن المعلومات التى يكثر استعمالها تميل إلى الثبات .[١]

الطريقة المثلى للتكرار : -

تكرار المادة تكرارا آليا أعمى . لايأتى بالنتيجة المرجوة . بل التكرار الذكى .التكرار الذى يساير الخصائص الثابتة للعقل هوالذى نريده .[٢] أى التكرار الذى يخرج من بؤرة الشعور . لا التكرار الذى يخرج من هامش الشعور .

ثم يعطى ديل كارينجى مثالا لكلا نوعى التكرار . فيقول : -

أعطى البروفسور- إبنجهاوس - إلى طلابه بيانا طويلا بكلمات ذات مقاطع لا معنى لها .لكى يحفظوها . مثل كلمة: ديوكس .و-كولى وغيرها . فوجد أن هؤلاء الطلاب قد حفظوا عددا كبيرا منها بتكرارها ثمان وثلاثين مرة . موزعة على ثلاثة أيام . ولكن عندما كرروها ثمان وستين مرة فى جلسة واحدة . وصلوا إلى نفس النتيجة ٠٠٠ وهناك اختبارات سيكولوجية . انتهت بنتائج مشابهة .[٣]ومعنى هذا : أن الشخص الذى يجلس . ويكرر الشيء إلى أن يثبته فى ذاكرته . يستغرق ضعف الوقت . ويستنفذ ضعف النشاط الضرورى للحصول على نفس النتيجة .

---

(1) التأثير فى الجماهير عن طريق الخطابة : ديل كارينجى ص٧٦ .
(2) السابق ص٦٧ ٠
(3) السابق ص٦٧ ٠

عندما تتم عملية التكرار على فترات موزعة .

وهذه الظاهرة العقلية الغريبة -[١]إن جاز لنا أن نصفها بذلك يمكن تفسيرها بعاملين هامين : -

الأول: - أن عقلنا الباطن يكون مشغولا بين فترتى التكرار بتكوين ترابطات أكثر ضمانا . وهذا ما يقوله الأستاذ جايمس الأستاذ بجامعة هارفارد . والمتخصص فى علوم النفس والاجتماع : -إننا نتعلم السباحة شتاء.[٢]والتزحلق صيفا.[٣]

الثانى :- إن العقل حين يقوم بعمله على فترات لايرهقه التعب المتواصل .

وكان سير ريتشارد برثون - مترجم كتاب ألف ليلة وليلة - يتكلم سبعا وعشرين لغة . كما يتكلمها أهلها الأصليون . ومع ذلك يعترف أنه لم يدرس أو يتدرب على الحديث بآية لغة أكثر من خمس وعشرين دقيقة فى الفترة الواحدة . لأن العقل يفقد نشاطه [٤]-اذا أرغم على أكثر من ذلك !!

إذا : فالتكرار له تاثير كبير فى العقل.. لأن المكرر ينطبع فى تجويف الملكات اللا شعورية التى تختمر فيها أسباب أفعال الإنسان .

---

(1) يقصد به: سرعة استقبال للمعلومات حين التكرار المنفصل .

(2) لأنه يكرر طرق ممارستها فى الصيف فينشغل العقل الباطن بها خلال الشتاء .

(3) لأنه يكرر طرق ممارستها فى الشتاء فينشغل العقل الباطن بها خلال الصيف.

(4) السابق ص٦٨ .

فإذا انقضى شطر من الزمن . نسى الواحد منا . صاحب التكـرار . وانتهى بتصديق المكرر .[١]

لذا كان هتلر يقول : إن الدعاية تستطيع فقط ان تؤثر فى النفوس عـن طريق التتابع والاستمرار و التنظيم . ويجب علينا ان نعيـد ونكـرر نفس الشيء من زوايا مختلفة .[٢]

أصبح من المؤكد الآن إزاء هذه الحقائق :-أنه ما من رجـل يتبـاهى بذكائه . ويحترم بديهيته . يؤخر تحضير خطبته إلى ما قبـل إلقائـها بوقت قليل . فإن فعل ذلك . ستقوم ذاكرته . بالعمل نصف مقدرتـها الممكنة .

من هنا يقول علماء النفس : - لذلك قبل أن تذهب إلى أى مؤتمـر أو اجتماع . أو غير ذلك . وقبل أن تلقى خطابك مباشـرة . يجـب أن تنظر فى مادتك . وتفكر فى الحقائق التى جمعتها لتجـدد ذاكرتـك . وتملأها بالنشاط.[٣]

وهذا يتطلب من الخطيب أن يكون عنده :-

---

(١) الخطابة للشيخ محمد أبو زهرة ص٨٨ .

(٢) التوعية الاجتماعية : أنور أحمد ص٤٠ ط القاهرة مطبعة الشعب نشر وزارة الشئون الاجتماعية ١٩٦٥م.

(٣) التأثير فى الجماهير عن طريق الخطابة ص٦٨ .

خامسا : سعة الثقافة

من أهم المقومات الأساسية لشخصية الخطيب .و عوامل نجاحه في مهنته : -

أن يكون : غزير العلم . عميق المعرفة . كثير الاطلاع . واسع الثقافة . طالبا الحكمة من جميع مظانها .

لقول النبى ﷺ :-

الحكمة ضالة المؤمن . أنى وجدها فهو أحق الناس بها .[١]

وقوله :-

تعلموا العلم . فإن تعلمه لله خشية . وطلبه عبادة . ومذاكرته تسبيح . والبحث عنه جهاد . وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة . وبذله لأهله قربة. لأنه معالم الحلال والحرام . ومنار سبل اهل الجنة . وهو الأنس في الوحشة . و الصاحب فى الغربة . والمحدث فى الخلوة . والدليل على السراء والضراء .والسلاح على الأعداء . والزين عند الأخلاء .يرفع الله به اقواما فيجعلهم فى الخير قادة وأئمة وتقتص آثارهم . ويقتدى بأفعالهم . وينتهى إلى رأيهم . ترغب الملائكة فى خلتهم . وباجنحتها تمسحهم . يستغفر لهم كل رطب ويابس . وحيتان البحر وهوامه . وسباع البر وانعامه . لأن العلم حياة القلوب من الجهل . ومصابيح

---

[١] رواه الترمذى فى كتاب العلم ج٥ ص ٦٤ .

الأبصار من الظلم . يبلغ العبد بتعلم منازل الأخيار . والدرجات العلى . في الدنيا والآخرة . التفكر فيه يعدل الصيام . ومدارسته تعدل القيام . به توصل الأرحام .وبه يعرف الحلال من الحرام . هو إمام العمل . والعمل تابعه . ويلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء .(١)

ويقول المبرد :

كان يقال : تعلموا العلم . فإنه سبب إلى الدين .ومنبهة للرجل . ومؤنس في الوحشة .وصاحب في الغربة . ووصلة في المجالس .وجالب للمال .وذريعة في طلب الحاجة .(٢)

فلا بد للخطيب من مطالعة فروع العلم .ومختلف ألوان الثقافة ليكون موسوعيا. يعطي للناس ما ليس عندهم . ويعلمهم ما يجهلون . ويذكرهم بما ينسون .وينبههم إلى ما عنه يغفلون.

فإذا طالعهم بما يعملون . وكرر عليهم ما يدركون.

انصرفوا عنه .وضاقوا به ذرعا . وفشل أي فشل في أداء رسالته السامية .

---

(1) جامع بيان العلم وفضله : ابن عبد البر ج١، ص٥٤-٥٥ .

(2) السابق ج١ ، ص٦٢ .

أهمية سعة الثقافة للخطيب المسلم

إن الخطيب المسلم لابد ان تكون ثقافته شاملة متنوعة .

تتناول العلوم الدينية واللغوية .وعلم النفس . وعلم الاجتماع والفلسفة والأخلاق .فالحياة كلها مجاله وميدانه .

فهو في السياسة محتاج إلى التاريخ والدين والاقتصاد والقانون والاجتماع ٠٠٠٠ إلخ

وفى الدين: مفتقر إلى التعمق فى مسائله .وإلى التاريخ ودراسة أحوال المجتمع ونظمه وعاداته ٠٠٠٠ إلخ

وفى القضاء: يستمد من الشرائع والقوانين وعلم النفس الفردى والجمعى ٠٠٠ إلخ

وهو فى الخطب كلها يغترف من اللغة والأدب .

وكلمااستبحرت ثقافته واستفاضت قراءته غزرت معانيه . وسمت افكاره . وقويت ادلته .(١)

كيف يتحصل الخطيب على سعة الثقافة ؟!

من أقوى الأمور التى تعينه على سعة الثقافة .والاستبحار :-

أ- كثرة السماع . ب- كثرة القراءة ج- العزيمة الصادقة

---

(١) فن الخطابة : الحوفى ص١٨ .

بكثرة مجالسته للعلماء والأدباء وطول عكوفه على كتب العلم .حتى يجود لفظه .ويحسن ادبه ويرقى ذوقه .ويقوم لسانه .

ولذا يحث الجاحظ كل خطيب يريد لنفسه سعة الثقافة . وكثرة العلم .والنجاح فى مهنته قائلا:-

والانسان بالتعلم والتكلف .وبطول الاختلاف إلى العلماء . ومدراسة كتب الحكماء : يجود لفظه . ويحسن ادبه . وهو لا يحتاج فى الجهل إلى أكثر من ترك العلم . وفى فساد البيان إلى أكثر من ترك التخيير .[1]

ثم يوصى كل خطيب قائلا:{ وأنا أوصيك ألا تدع التماس البيان والتبيين .[2]إن ظننت أن لك فيهما طبيعة .وأنهما يناسبانك بعض المناسبة . ويشاكلانك فى بعض المشاكلة . ولا تهمل فطرتك من التدريب والدراسة المستمرة فيستولى الإهمال على قوة القريحة. ويستبد بها سوء العادة .

وإن كنت ذا بيان . وأحسست من نفسك بالنفوذ فى الخطابة والبلاغة . وبقوة المنة يوم الحفل . فلا تقصر فى التماس أعلاها سورة .وأرفعها فى البيان منزلة .ولا يقطعنك تهيب الجهلاء .وتخويف

---

(1) البيان والتبيين ج١ ،ص٤٨ .

(2) البيان لنفسك أو التبيين لغيرك .

الجبناء .ولا تصرفت الروايات .المعدولة عن وجوهها. والأحاديث المتناولة على أقبح مخارجها .

وكيف تطيعهم بهذه الراويات المعدولة .والأخبار المدخولة .وبهذا الرأى الذى ابتدعوه من قبل أنفسهم .وقد سمعت الله تبارك وتعالى ذكر دواود النبى صلوات الله وسلامه عليه .فقال :

((وأذكر عبدنا داود ذا الأيدى إنه أواب .إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والإشراق .والطير محشورة كل له أواب .
وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب))[1]

فجمع له بالحكمة : البراعة فى العقل .والرجاحة فى الحلم .والاتساع فى العلم .والصواب فى الحكم .

وجمع له بفصل الخطاب : تفصيل المجمل .وتلخيص الملتبس والبصر بالحز فى موضع الحز .والحسم فى موضع الحسم .[2]

وذكر رسول الله ﷺ .شعيبا عليه الصلاة والسلام .فقال:

كان شعيب خطيب الأنبياء .وذلك عند بعض ما حكاه الله عنه فى كتابه .وحلاه لأسماع عباده .

فكيف تهاب منزلة الخطباء .وداود عليه السلام سلفك.وشعيب إمامك ؟

---

[1] سورة ص آية :١٧-٢٠ وفصل الخطاب هو القدرة على التعبير عن كل ما يخطر بالبال ويحضر فى الخيال بحيث لا يختلط شيء بشيء .وبحيث ينفصل كل مقام عن مقام . الفخر الرازى ج٢٦ ،ص١٨٨ .

[2] الحز :القطع ، الحسم : هو القطع باستئصال .

مع ما تلونا عليك فى صدر هذا الكتاب البيان والتبيين من القرآن الكريم والآى الحكيم .

وهذه خطب رسول الله ﷺ مدونة محفوظة ومخلدة مشهورة.

وهذه خطب ابى بكر الصديق وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم .

وقد كان لرسول الله ﷺ شعراء ينافحون عنه وعن أصحابه بأمره وكان ثابت بن قيس بن الشماس الأنصارى خطيب رسول الله ﷺ لا يدفع ذلك أحد.[1]

فلا بد للخطيب من سعة فى ثقافته .ليستطيع عرض الخطبة باسلوب شيق .لا يمله الناس مهما كان طويلا.ألا ترى قيس بن خارجة بن سنان لما ضرب بصحيفة سيفه مؤخرة راحلتى الحاملين فى شأن حمالة .[2]داحس و الغبراء .وقال : ما لى فيها ايها العشمتان .[3] قالا : بل ما عندك ؟ قال عندى قرى كل نازل .ورضا كل ساخط .وخطبة من لدن تطلع الشمس إلى أن تغرب .آمر فيها بالتواصل . وأنهى فيها عن التقاطع .

قالوا: فخطب يوما إلى الليل فما أعاد فيها كلمة ولا معنى .

فقيل ليعقوب : هلا اكتفى بالأمر بالتواصل عن النهى عن التقاطع .

---

(١) البيان والتبيين ج١ص١١٢-١١٣ .
(٢) الدية أو الغرامة يحملها قوم على قوم .
(٣) واحدها عشمة وهو الطمع .

أو ليس الأمر بالصلة هو النهى عن القطيعة ؟

قال: أوما علمت أن الكناية والتريض لا يعملان فـــى العقــول عمــل الإفصاح والتكشف.[١]

وما استطاع قيس بن خارجة أن يلقى مثل هذه الخطبة الطويلة الشاملة الجامعة . إلا لتمكنه من اللغة . وسعة الثقافة . وغزارة العلم .وانفعاله بموضوع الخطبة . وتأثيره وهيمنته على عقول وقلــوب المســتمعين مقنعا ومستميلا. ولو كانت ثقافته ضعيفة أو محدودة . ما اســتطاع ان يقف مثل هذا الموقف.

عوامل ضعف الثقافة

هناك عوامل كثيرة تؤدى إلى ضعف ثقافة الخطيب وبالتالى إلـــى ضعف شخصيته . ومن أهم هذه العوامل :-

أولا:-ترك الاطلاع فى مجالات متنوعة .دينا وحياة . معنويا وحسيا . مع ما يصاحب ذلك من كسل وقعود . واعتماد فى الخطابة على كتب وضعت فى عصور سابقة لا علاقة لها بالزمن الذى نعيش فيه .

وهو هنا - أى الخطيب لا يفكر فى مضمون يوصله للناس . بــل لا نتعدى الحقيقة . إذا قلنا : إنه لا يفكر أصلا بل يؤدى عمله بطريقـــة آلية .حيث لا هدف يرجى . و لامضمون يتلى .

---

(١) البيان والتبيين ج١،ص٦٤ .

ثانيا:- كثرة الاطلاع -إن وجد- في مجال واحد . أو التبيعية في الثقافة لمنهج واحد .

فالسلفي يقتصر في اطلاعه على وجهة نظر سلفية فقط .دون الاطلاع على غيرها .

وكذلك الصوفي . وغير ذلك من الاتجاهات الثقافية الإسلامية.

ومن أشد أنواع الضرر الذي يقع على الخطابة هو : أحادية الثقافة عند الخطيب.

فهو كالذي يبصر. ولكنه لا يرى إلا لونا واحدا.

وكالذي يتذوق الطعام.ولكنه لا يستشعر إلا مذاقا واحدا لكل الأطعمة .

ثالثا:- مخالطة غير المثقفين الذين لايفيدون الخطيب في مهمته الخطابية .بل ربما يشغلونه عنها بأشياء تحط من قدره . وتضعف من مستواه العلمي والثقافي والأدبي . وما يترتب علي ذلك من انحطاط قدره بين الناس .

ولذا يحذر الجاحظ كل خطيب يريد لنفسه النجاح والرقي في مهنته. من مخالطة هؤلاء .فيقول :-

-ولو جالست الجهال والنوكى .[1]والسخفاء والحمقى شهرا فقط . لم تنق من أوضار كلامهم . وخبال معانيهم . بمجالسة أهل البيان والعقل دهرا . لأن الفساد أسرع إلى الناس . وأشد التحاقا بالطبائع [2]

---

(1) النوكى جمع للمفرد أنوك : وهو الأحمق .

(2) البيان والتبيين ج ١ ، ص ٨٦ .

وبانتقاء الخطيب نمثل هذه العوامل التى تقلل من ثقافته وتضعف من مستواه العلمى .

يستطيع أن يتمكن من توسيع ثقافته بكثرة الاطلاع فى شتى فروع العلم الدينى والدنيوى معا.

وبمخالطة أهل الخبرة فى كافة المجالات .

ولابد للخطيب مع المقومات السابقة من آلة الخطابة . وهى:-

سادسا: الفصاحة والبيان

الفصاحة مصدر الثلاثى فصح بوزن ظرف وكرم .

وقد وردت هذه الكلمة الفصاحة فى المعاجم اللغوية بمعان كثيرة تدور كلها حول :-

التغلب على العي .والخلوص من العجمة وكل ما يعوق اللسان . حتى ينطلق يجود لفظه.ففى مختار الصحاح :-رجل فصيح.وكلام فصيح . أى بليغ.وكل ناطق فصيح . ومالا ينطق فهو أعجم .وفصح العجمى : جادت لغته حتى لايلحن . وباب الكل ظرف .وتفصح فى كلامه .وتفاصح : تكلف الفصاحة .[1]

وفصح الصباح فصحا: غلب ضوؤه . وفصح اللبن . فصحا وفصاحة : خلص مما يشوبه .فأخذت عنه رعوته وبقى خالصه.
وفصح الرجل :انطلق لسانه بكلام صحيح واضح .[2]

---

(1) مختار الصحاح ، ص٥٠٤ .
(2) المعجم الوسيط ص٦٩٠ .

ويقال : أفصح العجمى : إذا تكلم بالعربية.وفصح : انطلق لسانه بها . وخلصت لغته من اللكنة .

وأفصح الصبى فى منطقه : فهم ما يقول فى أول ما يتكلم .

تقول أفصح فلان . ثم فصح . وأفصح عن كذا : لخصه وأفصح لـــى عن كذا إن كنت صادقا : أى بين.[١]

الفصاحة :البيان. وسلامة الألفاظ من الإبهام .وسوء التأليف.

يقال: رجل فصيح: يحسن البيان ويميز جيد الكلام من رديئه.

وكلام فصيح : سليم واضح . يدرك السمع حسنه . والعقل دقته.

ولسان فصيح: طلق يعين صاحبه على إجادة التعبير.[٢]

وهذه الصفة أمر ضرورى لكل خطيب فضلا عن كل داعية .

لأنها هى التى يفهم من خلالها المستمع .[٣] وهى التى تضمن الخلـود والاستمرار لكل مبدأ .

الفصاحة والبيان نعمة إلهية توجب الشكر :-

إن فصاحة اللسان . وقوة البيان من أجل نعم الله تعالى على الإنسان فضلا عن الخطباء إذ جعلها موهبة كامنة فى الإنسان . تميزه عـــن غيره من الكائنات .

وقد ذكر الله تعالى جميل آلائه فى تعليم البيان .وعظيم نعمته فى تقويم اللسان . فقال سبحانه :-

---

(١) أساس البلاغة ص٣٤٢ .

(٢) المعجم الوسيط ص ٦٩٠

(٣) القاموس المحيط ج١ ص ٢٤٠ فصل الفاء باب الحاء .

((الرحمن علم القرآن. خلق الانسان .علمه البيان))[١]

– ووصف القرآن الكريم بالبيــان والإفصــاح . وبحســن التفصيــل والإيضاح .وبجودة الإفهام .وحكمة الإبلاغ .وسماه فرقانا.

فقال سبحانه **((وإنه لتنزيل رب العالمين .نزل به الروح الأمين علــى قلبــك لتكون من المنذرين . بلسان عربى مبين))**[٢]

((الر.تلك آيات الكتاب المبين .إنا أنزلناه قرآناعربيالعلكم تعقلون))[٣]

((ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين))[٤]

– كما ذكر الله تعالى لنبيه ﷺ .حال قريش فى بلاغة المنطق.ورجاحة الأحلام . وصحة العقول . وذكر العرب وما فيهم من بلاغة الألسنة . واستمالة الأسماع بحسن منطقهم .

فقال سبحانه :–

((وإن يقولوا تسمع لقولهم))[٥]

وقد نزلت هذه الآية فى شأن .عبد الله بن أبى ومن معه من المنافقين . وهم من العرب الخلص . وقد كان عبد الله بن أبى جســيما صحيحــا فصيحا.وإذا قال سمع النبى ﷺ قوله .[٦]

---

(١) سورة الرحمن آية ١-٤ .
(٢) سورة الشعراء آية :١٩٢-١٩٥ .
(٣) سورة يوسف آية ١-٢ .
(٤) سورة النحل آية :٨٩ .
(٥) سورة المنافقون آية :٤ .
(٦) تفسير الرازى ج٣٠ ص١٤ .

-وقد أرسل الله تعالى رسله الكرام عليهم الصلاة والسلام .ليبينوا لأقوامهم كل شيء.فقال سبحانه :

((وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم))[١]

لأن مدار الأمر فى كل شئون البشر قائم علىالبيان والتبيين .وعلى الإفهام والتفهيم .

وكلما كان اللسان أبين .كان أفضل وأجمل .

وكلما كان القلب أشد استبانة-استمالة-كان أحمد .

والمفهم لك . والمتفهم عنك .شريكان فى الفضل.إلا أن المفهم أفضل من المتفهم .وكذلك المعلم والمتعلم ...[٢]

ولذا قال موسي عليه السلام : **((وأخى هارون هو أفصح منى لسانا.**[٣] **فأرسله معى ردءا يصدقنى))**[٤]

قال مقاتل :- المعنى : كى يصدقنى فرعون .أى أرسل معى أخى حتى يعاضدنى على إظهار الحجة والبيان.

فعند اجتماع البرهانين ربما حصل المقصود من تصديق فرعون ...

---

(١) سورة إبراهيم آية :٤ .

(2)البيان والتبيين جـ ، صـ ١١ .

(٣) لأنه كان فى لسانه حبسة إما فى أصل خلقته وإما لأنه وضع الجمرة فى فيه عندما نتف لحية فرعون .

(٤) سورة القصص آية :٣٤ .

وليس الغرض من تصديق هارون أن يقول له صدقت .أو يقول للناس صدق موسي.وإنما هو أن يلخص بلسانه الفصيح وجوه الدلائل .ويجيب عن الشبهات .ويجادل به الكفار .فهذا هو التصديق المفيد .. وفائدة الفصاحة إنما تظهر في الوضوح والتوضيح .لا في مجرد قوله صدقت .[١]

كما قال موسي ((**ويضيق صدرى ولا ينطلق لسانى فارسل إلى هارون**))[٢] رغبة موسي عليه السلام .في غاية الإفصاح بالحجة والمبالغة في وضوح الدلالة. لتكون الأعناق إليه أميل .والعقول عنه افهم .والنفوس إليه أسرع .[٣]والقلوب والعواطف إليه أقرب .

وخلاصة القول من طلب موسي عليه السلام من ربه إرسال هارون معه إلى فرعون :

أنه لولم يكن هارون – مع موسي عليهما السلام لاختلت المصلحة المطلوبة من بعثة موسي وذلك من وجهين :

الأول : أن فرعون ربما كذبه .والتكذيب سبب لضيق القلب و الصدر وهما سبب لتعسر الكلام على من يكون في لسانه حبسة .لأنه عند ضيق القلب .تنقبض الروح .والحرارة الغريزية إلى باطن القلب وإذا انقبضا إلى الداخل وخلا منهما الخارج ازدادت الحبسة .

---

(١) تفسير الرازى ج٢٤ ص٢٤٩ .
(٢) سورة الشعراء آية:١٣ .
(٣) البيان والتبيين ج١ ص٧ .

فلهذا السبب .بدأ بخوف التكذيب . ثم ثنى بضيق الصدر .ثم ثلث بعدم انطلاق اللسان .

وأما هارون فهو أفصح لسانا منى .وليس فى حقه هذا المعنى .فكـــان إرساله لائقا.

الثانى : أن لهم عندى ذنبا.فأخـــاف أن يبـــادروا إلى قتـــلى وحينئـــذ لا يحصل المقصود من البعثة .وأما هارون فليـــس كذلـــك فيحصـــل المقصود من البعثة.[١]

أهمية الفصاحة للخطيب

إنه من الضرورى بمكان أن يكون الخطيب لســـنا فصيحـــا.ذرب اللسان . بليل الريق .قديرا على التعبير .لأن منطقه هو ثروته وعدتـــه .وهو بمنطقه يقنع .وبمنطقه يستميل .وما هز المنـــابر فـــى القديـــم والحديث.

ولا تزعم الأمم . وقاد الجماهير .إلا اللسن الفصحاء .[٢]

وقد علم العرب أن سعة الشدقين عون على طلاقة اللسان .ووضـــوح النطق بالكلام .وذلك من خلال تجاربهم فى الحياة .فـــامتدحوا ســـعة الشدقين .وعدوها من مواطن الجمال فى الإنسان .

---

(١) تفسير الرازى ج٢٤ ص ١٢٢ .

(٢) فن الخطابة :الحوفى ص١١ .

فقال محمد بن يسير الشاعر.[١]

قيل لأعرابى :ما الجمال ؟!

قال : طول القامة .وضخم الهامة .ورحب الشدق .وبعد الصوت .

وسأل جعفر بن سليمان [٢]أبا المخشن عن ابنه المخشن .وكـــان قـــد جزع عليه جزعا شديدا .قائلا صف لى المخشن .

فقال : كان اشدق .خرطمانيا.[٣]سائلا لعابه.كأنما ينظر من قلتين .[٤] كأن ترقوته [٥] بوان وخالفة [٦] .

---

(1) هو محمد بن يسير الرياشي يقال أنه كان مولى لبنى رياش الذين منهم العباس بن فرج الرياشى الإخبارى الأديب .وكان شاعرا ظريفا . من شعراء المحدثين متقللا لم يفارق البصرة .ولا وفد إلى خليفة ولا شريف ولا جاوز بلده .وكان ماجنا هجاء خبيثا من بخلاء الناس .الأغانى ج١٢ ص١٢٤ والبيان والتبيين ج١ ص٦٥ ، (2)

(٢) إما لأن يكو ن جعفر بن سليمان الضبعى البصرى الشيعى المتوفى سنة ١٧٨ هجرية وإما ان يكون جعفر بن سليمان بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ابن عم السفاح والمنصور - البيان والتبيين ج١ ص٣٢١ ،ج٢ ص١٧٣.

(٣) خرطمانيا :أى كبير الأنف .

(٤) القلت : بالفتح النقرة فى الجبل تمسك الماء .

(٥) العظم الذى بين ثغرة النحر والقامة .

(٦) البوان :عمود الخيمة . والخالفة : عمود من أعمدة البيت فى مؤخره.

وكـــأن منكبه كركرة جمل ثقال .[١] فقأالله عينى إن كنت رأيت قبلـــه أو بعده مثله .

وقال الشاعر فى عمرو بن سعيد الأشدق :-

تشادق حتى مال بالقول شدقه .:.وكل خطيب لا أبالك أشدق .

وأنشد ابو عبيدة :

وصلع الرؤوس عظام البطون .:. رحاب الشداق طوال القصر [٢]

وتكلم يوما عند معاوية الخطباء فأحســـنوا . فقـــال : والله لأرمينكـــم بالخطيب الأشدق .قم يازيد فتكلم .

وقال يحيى بن نوفل فى خالد بن عبد الله القسرى :

وألحن الناس كل الناس قاطبة .:. وكان يولع بالتشديق فى الخطب

ويدلك على تفضيلهم سعة الأشداق .وهجائهم ضيق الأفواه.

قول الشاعر :

لحا الله أفواه الدبى [٣]من قبيلة .:. إذا ذكرت فى النائبات أمورها

وقال الآخر :

وأفواه الدبى حاموا قليلا.:. وليس أخو الحماية كالضجور

---

[1] والمنكب :مجتمع رأس الكتف والعضد . والكركرة :رحى زور البعير .وجمل ثقال :بطيء لضخم جسمه .

[2] الأعناق

[3] صغار الجراد والنمل الواحدة منهم دباه.

وإنما شبه أفواههم بأفواه الدبى لصغر أفواههم وضيقها.[١]

كيف يزاد الخطيب من صفة الفصاحة :-

هناك أمور لابد أن يداوم عليها الخطيب ليزداد لسانه ذرابة وأسلوبه فصاحة . ومنطقه نصاعة .وقوله بلاغة .

ومن أهم هذه الأمور :-

١- **الحفظ والتكرار**:- وخاصة للشواهد والأدلة .

فلا يعيب الخطيب أن يجلس فى بيته ويحضر خطبته.ويوثق أدلته .وشواهده توثيقا شديدا.ويحفظها حفظا متينا.

وإنما العيب كل العيب أن يصعد الخطيب للمنبر .ثم يطلب الدليل من آية أو حديث .فلا يجد ذلك حاضرا فى ذهنه.

ولذلك يقول العلامة عبد الرحمن بن خلدون فى مقدمته :

{ لا بد من كثرة الحفظ لمن يروم تعلم لسان العربى .وعلى قدر جودة المحفوظ .وطبقته فى جنسه .وكثرته من قلته .تكون جودة الملكة الحاصلة عنه للحافظ..

وعلى مقدار جودة المحفوظ أو المسموع تكون جودة الاستعمال من بعده.. ثم إجادة الملكة من بعدهما.

فبارتقاء المحفوظ فى طبقته من الكلام ترتقى الملكة الحاصلة .

---

(١) البيان والتبيين ج١ ص٦٧ .

لأن الطبع إنما ينسج على منوالها.وتنمو قوى الملكة .بتغذيتها . وذلـك أن النفس وإن كانت فى جبلتها واحدة بالنوع.فهى تختلف فى البشـــر بالقوة والضعف فى الإدراكات .واختلافها إنما هو باختلاف ما يـــرد عليها من الإدراكات والملكات والألوان التى تكفيها من الخارج .
فبهذا يتم وجودها .وتخرج من القوة إلى الفعل صورتـــها .والملكـات التى تحصل لها. إنما تحصل على التدريج..
فالملكة الشعرية تنشأبحفظ الشعر. وملكة الكتابـــة بحفـظ الأســجاع والترسيل.والعملية بمخالطة العلوم والإدراكات والابحاث و الأنظار .
والفقهية بمخالطة الفقه وتنظير المسائل وتفريعها .وتخريـــج الفـــروع علي الأصول .والتصوفية الربانية بالعبـــادات والأذكـــار .والخلـــوة والانفراد عن الخلق ما استطاع .
حتى تحصل له ملكة الرجوع إلى حسه الباطن وروحه.وينقلب ربانيـــا وكذا سائرها .
وللنفس فى كل واحد منها لون تتكيف به.
وعلى حسب ما نشأت الملكة عليه من جودة ورداءة .تكون تلك الملكة فى نفسها .}[١]

وليس معنى ذلك أننا نوصي الخطيب بحفظ خطبته .بل نوصيـــه بأن يكرر قراءة موضوعه . ويحفظ الأدلة و الشواهد التـــى يأتى بها

---
[١] مقدمة ابن خلدون :ص٣٥٨-٣٥٩ .

في موضوعه .

ويجب أن لا يكون التكرار آليا.بل يجب أن يكون بوعى وتدبر.

يقول تعالى آمرا بحفظ القرآن وترتيله بالتكرار:

((ورتل القرآن ترتيلا))[١]

ثم بين كيفية الترتيل بقوله سبحانه :

((أفلا يتدبرون القرآن ؟.

ولوكان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا))[٢]

٢- تصوير النطق للمعانى تصويرا صادقا.بأن ،يعطى كـــل عبـــارة حقها .ويظهرها بشكل تتميز به عن سواه .

فالجملة المؤكدة ينطقها بشكل يدل على التوكيد .

والجملة الاستفهامية ينطقها بشك يتبين منه الاستفهام وهكذا .

٣- التمهل فى الإلقاء . وهو ألزم الأمور للخطيب .

إذ السرعة فى الخطبة عيب يجب على الخطيب التخلى عنه .لمـــا يلى :-

أ- النطق السريع ينتج عنه تشويه المخارج .وخلط الحروف بعضـــها ببعض .

ب- عـــدم تمييز الجمـــل والفقرات . وذلك لإهمال الخطيب الوقوف

---

(1) سورة المزمل آية :٤

(2) سورة النساء آية ٨٢ .

عند المقاطع الحسنة .وتلك لها أثرها السيىء لـــدى المســـتمع .تجـــاه الخطيب .

ج- لا يجد المستمع فرصة لتذوق الكلام .

فيجب على الخطيب التمهل فى خطبته .فذلك يعد من رباطة جأشه

يقول الجاحظ فى البيان والتبيين :

{ أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة .

وذلك أن يكون الخطيب . رابط الجأش .ساكن الجوارح .قليل اللحظ . متخير اللفظ .لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة .ولا الملوك بكلام السوقة. ويكون فى قواه فضل للتصرف فى كل طبقة .ولايدقق المعـــانى كـــل التدقيق .ولا ينقح الألفاظ كل التنقيح .ولا يصفيها كـــل التصفيـــة .ولا يهذبها غاية التهذيب .و لايفعل ذلك حتى يصادف حكيما.أو فيلســـوفا عليما .ويكون مع ذلك :-

ذاكرا لما عقد عليه أول الكلام .ويكون تصفحه لمصـــادره فـــى وزن تصفحه لموارده .

ويكون لفظه مؤنقا .ولهول تلك المقامات معاودا .

ومدار الأمر على إفهام كل قوم بقدر طاقتهم .والحمل عليـــهم علـــى أقدار منازلهم .

وأن تواتيه آلته .وتتصرف معه أداته .

ويكون فى التهمة لنفسه معتدلا وفى حسن الظن بها مقتصدا.

فإنه إن تجاوز مقدار الحق فى التهمة لنفسه ظلمها .فاودعـــها ذلـة المظلومين .وإن تجاوز الحق فى مقدار حسن الظن بها .أمنها فأودعها تهاون الآمنين .ولكل ذلك مقدار من الشغل .

ولكل شغل مقدار من الوهن .ولكل وهن مقدار من الجهل .[١]

المستفاد من كلام الجاحظ :-

يفهم من كلام الجاحظ :-

أن الخطيب لكى ينجح فى مهمته .لابد وأن يكون جامعا لكل ما يجعلـه بلغيا فصيحا .

وأول ذلك :-

أولا:- أن يحضر الموضوع تحضيرا دقيقا.لأن هذا التحضيريكسبه الثقة بالنفس .وعدم الاضطراب أمام الجمهور .مما يؤدى إلـى قلـة ملاحظاتهم أو نقدهم له .وبالتالى قلة نظرات الخطيب إلى الجمـهور. لأن كثرة نظراته فى عيون الجمهور يؤدى به إلى تبخر المعلومـات من ذهنه .

ولذا يوصي أهل البيان .وعلماء فن الخطابة القدماء بتنزه الخطيب عن كل هذه الأمور .فقالوا :-

-الاستعانة بالغريب عجز .والتشادق من غير أهل البادية بغض .

والنظر فى عيون الناس عى.ومس اللحية هلك .[٢]

---

(1) البيان والتبيين ج١ ص٥٢ .

(2) السابق ج١ ص٤٤ .

ثانيا:- تخير الألفاظ والتعبيرات فى أسلوب الخطبة .بأن يجعل لكـــل مقام مقالا.فلا يخاطب السادة بكلام العبيد .أو الوجهاء والعظماء بكـلام السوقة والدهماء .

ثالثا:- مراعاة أن الجمهور متعدد الثقافات متنوع المستويات .فعلـــى الخطيب أن يفهم الجميع .كل على قدر فهمه وثقافته .

- فلا يتعمق فى الألفاظ والتعبيرات -إرضاء للمثقفين فتضيع فـائدة الخطبة على العوام وأنصاف المثقفين .

-ولا يتبذل فى الألفاظ والتعبيرات -إرضاء للعوام- فيســـىء إلـــى المثقفين.

ولا يتمكن الخطيب من إرضاء الجميع .إلا بالتدريب المتواصل.

ومخالطة أهل الخبرة والاختصاص بفن الخطابة والإلقاء .

رابعا:-التزام الخطيب بالوحدة العضوية للموضوع .فيكون آخر كلامه متمما لبدايته .ولذا قال الأقدمون :-

والخروج عمابنى عليه أول الكلام إسهاب .[١]

خامسا:- أن يكون الخطيب متواضعا فى غير مذلة .وأن يكون عزيزا بدينه وعلمه ونفسه فى غير تكبر .

لأن تكبره على جمهوره يسقطه من أنظارهم .

وتذ للـــه واتهامه لنفسه دائمايسقطه أيضا من الأنظار .

---

[١] البيان و التبيين ج١ ص٤٤ .

والطامة الكبرى .اتهام الخطيب لنفسه فى أول خطبته إذ يســـقطه من الأنظار سقطة لايقوم بعدها أبدا.مهما أبدع فى خطبته .لأنه: وطن نفسية المستمعين وأذهانهم تجاهه بالاتهام والتقصير مسبقا.

علماء النفس المعاصرون يؤكدون كلام الجاحظ.

ينصح علماء النفس والمتخصصون فى فن الخطابة . الخطيب بعـــدم اتهامه لنفسه واعتذاره أمام جمهوره .فقالوا:-

لا تبدأ حديثك بالاعتذار [1]

إن الخطأ الفاضح الذى يقترفه المبتدىء فى المقدمة هو الاعتذار .كأن يقول :-

أنا لست بخطيب ..

لست مهيأ للخطاب ..

ليس لدى ما أقوله..

أنتم أعلم منى ..

لا تفعل ذلك أبدا حتى وإن لم تكن مهيأللخطبة .ودع الأقــدار تحــدث عنك .

فبعض الجمهور سيشعر بك دون أن تحدثه بعدم تهيئتك للخطبة .

والبعض الآخر لن يشعر بعدم تهيئتك .

---

(1) التأثير فى الجماهير عن طريق الخطابة ص١٢٨ .

فلم تلفت انتباههم وتوطن أنفسهم مسبقا لضعفك وعدم استعدادك ؟!!
لماذا تهين جمهورك بالاقتراح أنك لا تفكر بأنهم يستحقون أن تحضـر من أجلهم ؟!..

وكأن الجمهور يقول لك :-

نحن لا نريد الاستماع إلى أعذارك .نحن هنا لتخبرنا وتثيرنا وتقنعنا.
تذكر ذلك جيدا:إن لحظة بروزك أمام الجمهور تستحوذ على انتباههم .بشكل طبيعى ومحتم .فليس من الصعب أن تستحوذ عليه فى اللحظات الخمس الأولى لكن من الصعب أن تستحوذ عليه فى الخمس دقائق التالية. فإن فقدته مرة .فإن صعوبة استرجاعه ستتضاعف .
فابدأ بشيء مشوق منذ الجملة واللحظة الأولى .

العيوب التي تعوق الفصاحة

إن الخطيب قد يعتريه عيب من العيوب التي تعـوق فصاحتـه وبيانه . بسبب الوراثة . أو النشأة . أو غيرهما ٠

فعلي الخطيب أن يتجنب هذه العيوب – قدرالمستطاع – لينجح في مهمته . وإلا تعـرض لضحـك السـامعين وسـخريتهم منـه . والاستهزاء به ٠

ومن هذه العيوب :-

١- **اللثغ :-**

اللثغ هو :-إبدال حرف مكان حرف آخر . كإبدال السين ثاء . أو إبدال الراء غينا . أو لاما . أو: ياء٠

_ وهذا العيب يسمي : الصوت الحلقي ذو الغرغرة ٠

وهو اسم لا يدل إلا علي أن الصوت صادر من الحلق أو الحنجـرة أو الرقبة و الزور ٠

سببه : –

ينشأ هذا العيب عن التصلب أو الارتفاع في مؤخرة اللسان مـن الداخل . فيخرج الصوت مغرغرا تغلب عليه نبرة الغين . لأن ارتفاع مؤخر اللسان يقربه من مخرج هذا الحرف[١] ٠

---

(١) فن الإلقاء : عبد الوارث عسر ص- ١١٣ ٠

وقد وجد هذا العيب في كبار الناس وبلغائهم وأشرافهم وعلمائهم[١] .

علاجـــه :-

هذا العيب النطقي قد يزول بالدربة المتواصلة والمران المســتمر . والواقع يؤكد ذلك :

قف أمام المرآة . وافتح فمك . لتري وضع لسانك . واجتـــهد - عندما تلاحظ ارتفاع مؤخرته -أن تمنع هذا الارتفاع ••• وذلك بــأن تنطق بحروف المد الثلاثة - الألف . والواو . والياء - ممدودة جدا . وخصوصا الياء الحادة . كالياء في كلمة - نيل - .. وجاهد في إعادة لسانك إلي وضعــه الطبيعـــي . واعــــلم أن لقـــوة الإرادة هنـــا الأهمية الكبري .

ثم مرن لسانك علي الخروج من الفم إلي أقصي ما تستطيع ببــطء أولا . ثم بسرعة .

ومرنه كذلك علي الحركة إلي الجانبين . أي الشدقين . بقوة وببطء . أولا . ثم بسرعة .

ومرنه علي الحركة إلي أعلي وأسفل . وإلي سقف الفم وأســفله . دون أن تزيد انفتاح الفم بحركة من الفك . بمعني أن يظل الفك الأسفل مفتوحا بمقداره الأول .

---

[١] البيان والتبيين جـ ١ ص ٨ .

وتقوية اللسان بتحريكه -كماشرحنا -مسألة بديهية . يدركها كل إنسان يريد أن يكون منطقه فصيحاً[١] .

وقد أدرك الخطباء والبلغاء أهمية هذا المران والتدريب لتقوية اللسان وتقويمه في القديم . ونجحت تجاربهم في هذا الصدد .

أ- فقد كان محمد بن شبيب المتكلم ألثغاً يبدل الراء غيناً . فإذا حمل علي نفسه وقَوَّمَ لسانه أخرج الراء صحيحة . وكان إذا شاء أن يقول : عمرو . ولعمري . وما أشبه ذلك علي الصحة قاله . ولكنه كان يستثقل التكلف والتهيؤ لذلك .

فقلت – الجاحظ – له إذا لم يكن المانع إلا هذا العذر فلست أشك أنك لو احتملت هذا التكلف والتتبع شهراً واحداً أن لسانك كان يستقيم .

ثم يقول الجاحظ – وأنا سمعت ذلك منه – يعني إخراج الراء صحيحة دون لثغة . وقد ذكره في ذلك . أبو الطروق الضبي[٢] . فقال : -

علیم بإبدال الحروف وقامع .:. لكل خطيب يغلب الحق باطله[٣]

---

(١) فن الإلقاء صـ ١١٤ .

(٢) كان شاعرا من شعراء المعتزلة . ومدح واصل بن عطاء بإطالة الخطب واجتنابه الراء علي كثرة ترددها في الكلام – البيان والتبيين جـ ١ صـ ١٥ .

(٣) السابق جـ١ صـ ١٥ .

ب – لما علم واصل بن عطاء[1] أنه ألثغ فاحش اللثغ . وأن مخـــرج ذلك منه شنيع . وأنه إذا كان داعية مقالة . ورئيس نحلة . وأنه يريـــد الاحتجاج علي أرباب النحل . وزعماء الملل . وأنه لابـــد لـــه مـــن مقارعة الأبطال . ومن الخطب الطوال . وأن البيان يحتاج إلي تميـيز وسياسة .وإلي ترتيب ورياضة . وإلي تمام الآلة وإحكام الصنعة .

وإلي سهولة المخرج . وجهارة المنطق . وتكميـــل الحـــروف . وإقامة الوزن . وأن حاجة المنطق إلي الطلاوة والحلاوة . كحاجتـــه إلي الجلالة والفخامة وأن ذلك من أكبر ما تستمال به القلوب وتنثنـــي إليه الأعناق . وتزين به المعاني ....

ومن أجل الحاجة إلي حسن البيان . وإعطاء الحروف حقوقها مـن الفصاحة رام أبو حذيفة – واصل بن عطاء – إلي إسقاط الراء مـــن كلامه . وإخراجها من حروف منطقه . فلم يزل يكابد ذلك ويغالبـــه . ويناضله ويتأتي لستره . والراحة من هجنته . حتي انتظم له ما حـلول . واتسق له ما آمل .

ولولا استفاضة هذا الخبر وظهور هذه الحال حتي صار لغرابته مثلا. ولظرافته معلما . لما استجزنا الإقرار به والتأكيد له .

ولست أعني خطبه المحفوظة . ورسائله المخلـــدة لأن ذلـــك يحتمـــل الصنعة . وإنما عنيت محاجة الخصوم ومفاوضة الإخوان .

---

(١) رئيس ومؤسس فرقة المعتزلة .

وكما كان واصل بن عطاء قبيح اللثغة شنيعها . كان طويل العنق جـدا وفيه قال بشار الأعمي :- ابن برد :-

مالي أشايع غزالا له عنـق .:. كنقنق[١] الدو[٢] إن ولي وإن مثلا .

عنق الزرافة ما بالي وبالكم .:. أتكفرون رجالا أكفـروا رجـلا.

فلما هجا واصلا . وصوب رأي إبليس في تقديم النار علي الطين . وقال :-

الأرض مظلمة والنار مشرقة .:. والنار معبودة مذ كانت النار .

وزعم أن جميع المسلمين كفروا بعد وفاة الرسول ﷺ . فقيل لـه : وعلي أيضا فأنشد :_

وما شر الثلاثة أم عمرو .:. بصاحبك الذي لا تصحبينا[٣]

قال واصل بن عطاء . عند ذلك : -

أما لهذا الملحد الأعمي المشنف المتكني بأبي معاذ من يقتله ؟[٤]

أما والله لولا أن الغيلة سجية من سجايا الغالية . لبعثت إليه من يبعـج بطنه . علي مضجعه . ويقتله في جوف منزله . وفي يوم حفله . ثـم كان لا يتولي ذلك إلا عقيلي . أو سدوسي[٥] .

---

(١) الظليم .
(٢) الفلاة .
(٣) البيت لعمرو بن كلثوم في معلقته .
(٤) المشنف : الذي يلبس الشنف . وهو بالفتح : القرط في أعلي الأذن .
(٥) بشار بن برد من أصل فارسي وكان أبوه برد . مولي لأم الظباء العقيلية . السدوسية : فادعي بشار أنه مولي بني عقيل لنزوله فيهم – البيان والتبيين ج١ ص ١٦ .

قال إسماعيل بن محمد الأنصاري وعبد الكريم بن روح الغفاري :

قال أبو حفص عمر بن أبي عثمان الشمري :

ألا تريان كيف تجنب الراء في كلامه هذا ؟

وأنتما للذي تريان من سلامته . وقلة ظهور التكلف فيه . لا تظنان به التكلف مع امتناعه من حرف كثير الدوران في الكلام .

ألا تريان أنه حين لم يستطع أن ينطق بشار . وابن برد . والمرعث . جعل المشنف بدلا من المرعث . والملحد بدلا من الكافر .

وقال : إن الغيلة سجية من سجايا الغالية . ولم يذكر المنصورية ولا المغيرية[1] . لمكان الراء .

وقال : لبعثت إليه من يبعج بطنه . ولم يقل : لأرسلت إليه .

وقال : علي مضجعه . ولم يقل : علي فراشه .

وكان إذا أراد أن يذكر البر قال : القمح والحنطة . والحنطة لغة كوفية والقمح لغة شامية . هذا وهو يعلم أن لغة من قال :بر . أفصح من لغة من قال : قمح أو حنطة[2] .

---

(١) المنصوريه : إحدى فرق الغالية من الشيعة وهم أصحاب منصور العجلي وكان يزعم أن عليا هو الكسف الساقط من السماء .
وأن أول ما خلق الله عيسي عليه السلام ثم علي بن أبي طالب .
والمغيرية فرقة من غلاة الشيعة أيضا وهم أصحاب المغيرة بن سعيد العجلي وكان مولي لخالد بن عبد القسري ادعي النبوة لنفسه وغلا في حق علي غلوا ظاهرا ـ السابق ج ١ ص ١٧ .

(٢) البيان والتبيين ج١ ص ١٧ .

أنشد ضرار بن عمرو[١] قول الشاعر في واصل :-

ويجعل البر قمحا في تصرفه .:. وجانب الراء حتى احتال للشعر[٢].

ولم يطق مطرا والقول يجعله .:. فعاد بالغيث إشفاقا من المطر .

وسئل عثمان البري[٣] : كيف كان واصل يصنع في العدد . وكيف كان يصنع بعشرة وعشرين وأربعين .

وكيف كان يصنع بالقمر والبدر ويوم الأربعاء وشهر رمضان . وكيف كان يصنع بالمحرم وصفر وربيع الأول وربيع الآخر وجماد الأولي وجماد الآخرة ورجب ؟

فقال : مالي فيه قول إلا ما قال صفوان : -

ملقن ملهم فيما يحاوله .:. جم خواطره جواب آفاق[٤].

وكان بشار كثير المديح لواصل بن عطاء قبل أن يدين بالرجعة[٥] ويكفر جميع الأمة .

---

(١) صاحب مذهب الضزارية من فرق الجبرية . وكان في بدء أمره تلميذا لواصل بن عطاء المعتزلي ثم خالفه في خلق الأعمال وإنكار عذاب القبر .

(٢) من أسماء الشعر مما ليس فيه الراء :-
السبد بالتحريك . والهلب بالضم . والمسيحة : وجمعها مسائح . والجمة : ما طال من الشعر . واللمة : ما زاد علي الجمة . والذصلة بالضم : ما اجتمع من الشعر .
البيان والتبيين ج١ ص ٢١ .

(٣) هو أبو سلمة عثمان بن مقسم البري الكندي البصري وهو منسوب إلي البر . وكان قدريا معروفا بالكذب ووضع الحديث .

(٤) البيان والتبيين ج ١ ص ٢٢ .

(٥) أي بالرجوع إلي الدنيا بعد الموت .

وكان قد قال في تفضيله علي خالد بن صفوان[١] . وشبيب بن شيبة[٢] . والفضل بن عيسي[٣] يوم خطبوا عند عبد الله بن عمـر بـن عبـد العزيز والي العراق : -

أبا حذيفة قد أوتيت معجبة .:. من خطبة بدهت من غير تقدير

وإن قولا يروق الخالدين معا .:. لمسكت مخرس عن كل تحبير[٤] .

لأنه كان مع ارتجاله الخطبة التي نزع منها الراء . كانت مـع ذلـك أطول من خطبهم .

وقال بشـــار : -

تكلفوا القول والأقوام قد حفلوا

وحبروا خطبا ناهيك من خطب .

فقام مرتجلا تغلي بداهته

كـمرجل القين[٥] لما حف باللهب .

---

(١) هو خالد بن صفوان بن عبد الله بن الأهتم كان قريبا لشبيب . وعلما من أعلام الخطابة. وقد وفد إلي هشام بن عبد الملك . وكان من سمار أبي العباس وكان مطلاقا . يقول : ما من ليلة أحب إلي من ليلة قد طلقت فيها نسائي فأرجع و الستور قد قلعت . ومتاع البيت قد نقل . فتبعث إلي بنتي بسليلة فيها طعام . وتبعث إلي الأخري بفراش أنام عليه .

(٢) شبيب بن شيبة : كان من رهط خالد بن صفوان . وكان بينهما منافسة شديدة .

(٣) هو الفضل بن عيسي بن أبان الرقاشي الواعظ البصري أحد القدرية المعتزلة _ البيان والتبيين ج ١ص ٢٩ .

(٤) تحبير : تحسين راجع البيان والتبيين ج ١ص ٢٤ .

(٥) الحداد .

وجانب الراء لم يشعر به أحد

قبل التصفح والإغراق في الطلب .

وقال في كلمة له . يعني تلك الخطبة : -

فهذا بديه لا كتحبير قائل

إذا ما أراد القول زوروه[١] شهرا[٢].

ج - وكان ديموستين خطيب أثينا . ألثغا . فلما خطب هزيء به سامعوه . فكاد ذلك يويئسه . لولا أن أستاذه شجعه على إصلاح عيبه . فعكف علي المطالعة وإصلاح لسانه . حتى لقد رووا أنه كان يحلق نصف رأسه . ويقيم في بيته أشهرا يتمرن علي الخطابة والإشارة .

وأنه كان يذهب إلي شاطيء البحر . ويضع في فمه حصاة . ويخطب علي هدير الموج وكأنه جمهور عظيم حتي صلح لسانه[٣] .

وقد بلغ نفور العرب من اللثغة . واشمئزازهم منها كعيب من عيوب النطق التي تعوق الفصاحة والبيان أن يطلق الرجل امرأته اللثغاء خشية أن تلد له مولودا ألثغا .

قال ابن الأعرابي :-

طلق أبو رمادة امرأته حين وجدها لثغاء . وخاف أن تجيئه بولد ألثغ

---

(١) حسنوه وقوموه .

(٢) البيان والتبيين ج ١ص ١٤ .

(٣) فن الخطابة للحوفي ص ١٤ ، وخطباء صنعوا التاريخ : أنور أحمد ص ٨ .

فقال : -

لثغاء تأتي بحيفس ألثغ

تعيس في الموشي و المصبغ ٠

الحيفس : الولد القصير الصغير ٠

كما كان العرب يدركون أهمية الثنايا في إخراج الحروف كاملة واضحة ٠

فقال سهل بن هارون[١] : -

لو عرف الزنجي فرط حاجته إلي ثناياه في إقامة الحروف . وتكميل جميل البيان . لما نزع ثناياه ٠

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في سهيل بن عمرو بن الخطيب[٢] : -

يا رسول الله انزع ثنيتيه السفليين حتى يدلع[٣] لسانه فلا يقوم عليك خطيبا أبدا[٤] ٠

---

(١) سهل بن هارون بن راهيولي الكاتب صاحب كتاب ثعلة وعفرة في معارضة كتاب كليلة ودمنه . وكتاب المسائل وكتاب المخزومي والهذيلة وغير ذلك من الكتب . وهو فارسي الأصل . شعوبي المذهب . شديد العصبية علي العرب – البيان والتبيين ج ١ ص ٥٢ ٠

(٢) سهيل بن عمرو بن عبد شمس – أبو زيد – خطيب قريش وهو الذي تولي أمر الصلح بالحديبية . وكان من المؤلفة قلوبهم . مات بالطاعون سنة ١٨ هـ ٠

(٣) يدلع لسانه : يخرج ويسترخي : كما يدلع الكلب . وفي حديث بلعم – إن الله لعنه فأدلع لسانه فسقطت أسلته علي صدره – أساس البلاغة ص ١٣٤ ٠

(٤) في الإصابة – قال عمر للنبي صلي الله عليه وسلم : دعني أنزع ثنيتي سهيل فلا يقوم عليك خطيبا . فقال : دعها فلعلها أن تسرك يوما ٠

وإنما قال ذلك :

لأن سهيلا كان أعلم[١] من شفته السفلي[٢] .

وقالوا : لم يتكلم معاوية علي منبر جماعة منذ سقطت ثناياه في الطست .

وقال أبو الحسن المدايني : لما شد عبد الملك أسنانه بالذهب .

قال : لولا المنابر والنساء . ما باليت متي سقطت[٣] .

٢ – الحصر والعي : –

الحصر هو : محاولة التعبير عن الكلام . مع ضيق الصدر . وانعقاد اللسان عن التعبير والنطق أو البيان .

والعي هو : فقد الإبانة عما يدور في النفس . ويخالج الوجدان .

وقد يعتري الحصر الخطيب . فيبرد جسمه . وتخور قوته . وينصبب عرقه . ويدور رأسه . وتطن أذنه . ويشحب لونه . وتسرع ضربات قلبه . وربما يعتريه الحصر حين يعتلي المنبر . وربما يصيبه وهو يخطب . لحادث يعرض من السامعين . أو لوهم يتوهمه .

(١) الأعلم مشقوق الشفة العليا . ومشقوق الشفة السفلي يقال له الأفلح .
(٢) البيان والتبيين ج ١ ص ٥٨ .
(٣) السابق ج ١ ص ٦٠ .

قال أبو هلال العسكري[١] : -

_ الحيرة والدهش يورثان الحبسة والحصر . وهما سبب الإرتاج والإجبال[٢] -

وكثيرا ما تعوذ منه البلغاء والخطباء . فافتتح الجاحظ بيانه وتبيينه بقوله :-

اللهم إنا نعوذ بك من فتنة القول . كما نعوذ بك من فتنة العمل . ونعوذ بك من التكلف لما لا نحسن . كما نعوذ بك من العجب بما نحسن .

ونعوذ بك من السلاطة[٣] والهذر[٤] . كما نعوذ بك من العي والحصر.

وقديما تعوذوا بالله من شرهما . وتضرعوا إلي الله في السلامة منهما. وقد قال النمر بن تولب[٥] :-

أعذني ربي من حصر وعي

ومن نفس أعالجها علاجا .

(١) صاحب كتاب الصناعتين في البلاغة .
(٢) الصناعتين ص ٢١ وفن الخطابة للحوفي ص ١٤ .
(٣) السلاطة : حدة اللسان والصخب .
(٤) كثرة الكلام في خطأ .
(٥) النمر بن تولب : شاعر مخضرم . أدرك الإسلام فأسلم وحسن إسلامه . وكان أحد أجواد العرب المذكورين وفرسانهم .

وقال الهذلي[١] : -

ولا حصر بخطبته .:. إذا ما عزت الخطب .

وقال مكي بن سواده البرجمي البصري : -

حصر مسهب جريء جبان .:. خير عي الرجال عي السكوت .

ومما ذموا به العي قوله : -

وما بي من عي ولا أنطق الخنـا

إذا جمع الأقوام في الخطب محفل .

وقول بشار بن برد : -

وعي الفعال كعي المقال .:. وفي الصمت عي كعي الكلم .

وقال أحيحة بن الجلاح[٢] : -

والصمت أحسن بالفتي .:. ما لم يكن عي يشينه[٣].

والقول ذو خـطل إذا .:. ما لم يكن لب يعينه[٤] .

---

(١) هو أبو العيال الهذلي أحد الشعراء المخضرمين . عمر وعاش إلي خلافة معاوية وكان هو وبدر بن عامر يسكنان مصر . خرجا إليها في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنهم أجمعين .

(٢) هو : أحيحة بن الجلاح الأوسي . كان سيد الأوس في الجاهلية . وكانت سلمي أم عبد المطلب بن هاشم تحته . وكانت لا تنكح الرجال إلا وأمرها بيدها فتركته لشيء كرهته منه فتزوجها هاشم . فولدت له عبد المطلب . وكان أحيحة كثير المال شحيحا عليه يبيع بيع الربا بالمدينة حتى كاد يحيط بأموالهم . وكان له تسع وتسعون بئرا . وهو إلي ذلك شاعر رقيق الشعر – الجاحظ ج ٢ ص ٣٦١ .

(٣) يشينه : يعيبه .

(٤) البيان والتبيين ج ١ ص٥ .

والناس لا يعيرون الخرس . ولا يلومون من استولي علي بيانـــه العجز . وهم يذمون الحصر . ويؤنبون العي . فإن تكلفا مــع ذلـك مقامات الخطباء وتعاطيا مناظرة البلغاء .

تضاعف عليهما الذم . وترادف عليهما التأنيب[١] .

وأعيب عندهم من دقة الصوت . وضيق مخرجه . وضعف قوته. أن يعترض الخطيب . البهر والارتعاش والرعدة والعرق .

قال سفيان بن عيينه :

تكلم صعصعة عند معاوية فعرق .

قال معاوية : بهرك القول .

قال صعصعة[٢] : إن الجياد نضاحة بالماء . والفرس إذا كان سـريع العرق . وكان هشا كان ذلك عيبا[٣] .

وأنشد ابن الأعرابي . لأبي مسمار العكلي في شبيه بذلك يقول : -

لله در عامر إذا نطق

في حفل إملاك وفي تلك الحلق[٤] .

---

(١) البيان والتبيين ج ١ ص١٢ .

(٢) هو صعصعة بن موحان العبدي وكان مسلما في عهد رسول الله صلي الله عليه وسلم ولم يره . وروي عن عثمان وعلي وشهد موقعة صفين مع علي . كان خطيبا فصيحا . مات بالكوفة في خلافة معاوية - البيان والتبيين ج ١ ص ٩٩ .

(٣) السابـق ج ١ ص١٣٣ .

(٤) الإملاك : التزويج وعقد النكاح . وحلق جمع حلقة . وهي القوم . تقال بالفتح والتحريك . وجمعها حلق بالتحريك وبكسر ففتح .

ليس ككقوم يعرفون بالسرق

من خطب الناس ومما في الورق[١].

يلفقون القول تلفيق الخلق

من كل نضاح الذفـــــاري بالعرق[٢].

إذا رمته الخطبــــاء بالحــدق

والذفاري هنا يعني بدن الخطيب .

والذفريان للبعير . هما اللحمتان في قفاه .

وإنما ذكر خطب الإملاك .

لأنهم يذكرون أنه يعرض للخطيب فيها من الحصر أكثر مما يعــرض لصاحب المنبر .

ولذلك قال عمر بن الخطاب : -

ما يتصعدني كلام كما تتصعدني خطبة النكاح[٣] .

وحدثوا أن عبد ربه اليشكري كان عاملا علي المدائــن . فصعــد المنبر ليخطب خطبة الجمعة فحمد الله . ثم ارتج عليه فسكت .

ثم قال : والله إني لأكون في بيتي فتجيء علي لساني ألف كلمة . فــإذا قمــت علي أعوادكــم هذه - يريد المنبر - جاء الشيطان فمحاها من

---

(١) السرق بالتحريك . وبفتح فكسر . هو : السرقة .

(٢) الخلق : الخرق . والذفاري : الحصان كثير العرق .

(٣) تصعده الأمر . وتصاعد به : شق عليه .

صدري ولقد كنت أحب يوم الجمعة . فصرت أبغضه . وما ذلك إلا لخطبتكم هذه[١] .

وذات مرة حصر عبد الله بن عامر علي منبر البصرة . فشق ذلك عليه .

قال له زياد :-

أيها الأمير : إنك إن أقمت عامة من تري أصابه أكثر مما أصابك[٢].

أسباب الحصر والعي :-

من أهم الأسباب التي تؤدي إلي الحصر والعي في الخطابة . أمور كثيرة منها ما يلي :-

١- **قلة الممارسة للخطابة** . أو الانقطاع عن ممارستها .

فأنشد أبو الزحف الراجز[٣] :-

كأن فيه لففا إذا نطق .:. من طول تحبيس وهم وأرق

كأنه لما جلس وحده . ولم يكن له من يكلمه . وطال عليه ذلك أصابه لفف في لسانه .

---

(١) فن الخطابة للحوفي ص ١٤ – راجع البيان والتبيين ج ١ ص١٣٣- ١٣٤ .
(٢) البيان والتبيين ج ١ صـ ٢٥١ .
(٣) هو أبو الزحف بن عطاء بن الخطفي ابن عم جرير بن الخطفي . وعمر أبو الزحف حتى بلغ زمان محمد بن سليمان بن عبد الله بن عباس – الجاحظ جـ ١ ص ٣٨ .

وكان يزيد بن جابر – قاضي الأزارقة[١] – بعـــد إحـــدي المواقـــع الحربية يقال له الصموت . لأنه لما طال صمته ثقل عليه الكـــلام . فكان لسانه يلتوي و لا يكاد يبين . وذلك من طول التفكـــير ولـــزوم الصمت[٢] .

٢- ضعف النفس . وقلة الجراءة .

لأن الهيبة تذهب بقدرة الشخص علي التفكير . وتذهب مـــن رأســه الأفكار . وتحبس لسانه عن البيان ،

٣- إطالة النظر في وجوه الجمهور .

لأن الخطيب مهما كانت قوة بيانه . وفصاحة لسانه . حين تلتقي عينـه بعين من يحدثه . تضعف ذاكرته ومقدرته ويعزب عنه الكلام ،

والأفضل للخطيب . إذا لم يكن هادئ النفس . لامِسا من قريحتـه استجابة . ومن نفسه قابلية للخطابة . ألا يخطب أصلا ،فعدم قيامــه بالخطبة أولي من تعريضه نفسه للنقد . وسخرية الناس به[٣] .

---

(١) الأزارقة طائفة من الخوارج نسبة إلي نافع بن الأزرق ،
(٢) البيان والتبيين ج ١ ص٣٨ ،
(٣) الخطابة د ، / عبد الجليل شلبي صـ ٤٤ ،

علاج الحصر والعي :-

الواجب علي من يتصدي لمواقف الخطابة :

١- أن يكون رابط الجأش . قوي القلب . جريئا في مواجهة الجماهير . وتحمل ما قد يحدث . أو يقع . حتي لا يعيا و لا يحصر .

٢- وأن يثق بنجاحه سلفا .

٣- وأن يتسلح بثقته في نفسه . وفي تقدير الجمهور له .

٤- التدريب المستمر علي الخطابة ومواجهة الجمهور .

قال غمبتا في رسالة إلي أبيه . قبل اعتلائه المنبر أول مرة :-
يوم الخميس سأقف خطيبا لأول مرة . وإني لمنتظر هذه الساعة بفارغ الصبر . وقلبي يخفق لها . ولكن لا عن خوف أو اضطراب . ولن يكون لي في الحياة يوم أسعد من هذا اليوم ...

لقد رأيت وسمعت في شهور ثلاثة . مشاهير المحامين وصغارهم . وأقول لك غير مختال : إن آمالي قد تضاعفت . وثقتي قد تزايدت . كنت منذ ستة أشهر أرجف فرقا لدي فكرة النضال مع هؤلاء .

أما الآن فقد غلبت الجسارة علي . وفاز باللذة الجسور[١] .

وعن أهمية ربط الجأش . ومداومة صعود المنابر . ومشافهة الجماهير بالخطابة .

يقول الكميت بن زيد وكان خطيبا : -

---

(١) فن الخطابة للحوفي صـ ١٥ .

- إن للخطبة صعداء . وهي علي ذي اللب أرمي -

وقولهم : أرمي : زاد .

يقال : فلان قد أرمي علي المائة وأربي .

وإنما يجتريء علي الخطبة :

الغمر الجاهل الماضي الذي لا يثنيه شيء . أو المطبوع الحاذق الواثق بغزارته واقتداره . فالثقة تنفي عن قلبه كل خاطر يورث اللجلجة . والانقطاع . والبهر . والعرق[١] .

والخطيب الماهر . من يحاول التخلص من الحصر والعي . إن طرءا عليه في خطبته .

وذلك بكلمة عاجلة . أو جملة مؤثرة . أو بإشارة عابرة .

وقد صعد عدي بن أرطأة المنبر . فلما رأي جماعة الناس . حصر فقال : -

الحمد لله الذي يطعم هؤلاء ويسقيهم .

وصعد روح بن حاتم المنبر . فلما رآهم قد شفنوا[٢] أبصارهم . وفتحوا أسماعهم نحوه قال :-

نكسوا رؤوسكم . وغضوا أبصاركم . فإن المنبر مركب صعب . وإذا يسر الله فتح قفل تيسر .

---

(١) البيان والتبيين ج ١ ص ١٣٤ .

(٢) نظروا بمؤخرة أعينهم كالمتعجب .

وصعد ذو النورين عثمان بن عفان المنبر فارتج عليه . فقال :-
إن أبا بكر وعمر كانا يعدان لهذا المقام مقالا . وأنتم إلي إمام عادل . أحوج منكم إلي إمام خطيب ،
وخطب مصعب بن حيان ، أخو مقاتل بن حيان خطبة نكاح . فحصر . فقال :-
لقنوا موتاكم لا إله إلا الله . فقالت أم الجارية :
عجل الله موتك ألهذا دعوناك ؟ !!
وقيل لرجل من الوجوه : قم فاصعد المنبر وتكلم . فلما صعد حصر فقال :-
الحمد لله الذي يرزق هؤلاء . وبقي ساكتا ،
وصعد آخر فلما استوي قائما وقابل بوجهه وجوه الناس . وقعت عينه علي صلعة رجل فقال : -
اللهم العن هذه الصلعة(١) ،

٣ - **الاستعانة :-**

من الأمور التي تشين الخطيب . وتجعله معيبا في فصاحته وبيانه أثناء الخطبة :-
الاستعانة علي استجلاب الكلام بأمور تدل علي ضعفه العلمي والثقافي

البيان والتبيين ج ١ ص ٢٤٩ -٢٥١ ،

ومن الاستعانة:ما ذكره العتابي [١]عندما سئل عن البلاغة :قال:-
كل من أفهمك حاجته من غير إعادةولا حبسة ولا استعانة .فهو بليغ .
فقال السائل :-عرفت الإعادة والحبسة .فما الاستعانة ؟
قال: أما تراه - أى الخطيب - إذا تحدث قال عند مقاطع كلامه:
ياهناه .وياهيه.وياهذا .واسمع منى.واستمع إلى .وأفهم عنى .أولست تفهم ؟ أو لست تعقل ؟ فهذا كله وما أشبهه عى وفساد .[٢]

ومن الاستعانة كذلك :تتابع النفس وانقطاعه من الإعياء .وكثرة مسح اللحية.والعبث فى الأصابع .

فهذه الحركات كلها مما يستعان به على استجلاب الكلام . والتحايل على النطق به . على حد قول القائل :-

ملىء ببهر[٣] الضم فى الكل .:. ومسحة عثنون[٤] وفتل الأصابع[٥]

لذا ينصح علماء النفس المعاصرون كل خطيب بعدم العبث فى أى شيء أثناء خطبته . لأنه يعد من الاستعانة التى ينبغي على الخطيب أن يتنزه عنها فقالوا :-

---

[١] كلثوم بن عمرو.
[٢] البيان والتبيين ج١ ص١١٣ .
[٣] تتابع النفس وانقطاعه من الإعياء .
[٤] مس اللحية.
[٥] البيان والتبيين ج١ ص٤ .

لا تفـــك ولا تربــط أزرار ســترتك بعصبيـــة . ولا تلعــــب بمسبحتك.ولا تتحسس بيدك .

فإن كان لابد لك من أن تتحرك حركة عصبية .فضع يـــدك وراء ظهرك حيث تستطيع أن تفتل أصابعك.دون أن يراك أحد.

وليس من الخير للخطيـــب -كقـــاعدة عامـــة- أن يختفــــى وراء الأثـــاث. أو أي شيء يستره عن الجمهور .أثناء خطبته.[1]وذلــك لأن مثل هذه الحركات تحط من قدر الخطيب فى نظر جمهوره.
لانشغاله بهذه الحركات عنه.

ويضاف إلى هذه الحركات :كثرة التنحنح .وافتعال الكحة أو السعلة .
قال سحيم بن حفص فى الخطيب الذى تعرض له النحنحة أوالســـعلة وذلك إذا انتفخ سحره [2]وكبا زنده [3]ونبا حده .

نعوذ بالله من الإهمال .:.ومن كلال[4] الغرب فى المقال .
ومن خطيب دائم السعال .

---

[1] التأثير فى الجماهير عن طريق الخطابة : بيل كارينجى ص١٧ ، وهناك بعض الأشياء قد تكسب الخطيب -خاصة المبتدىء -شيئا من الشجاعة فى المرات الأولى لمواجهة الجمهور .كأن يقف خلف منضدة أو مقعد أو أى شيء لا يستره كلية عن الجمهور ويقبض عليها بيده أثناء إلقائه للخطبة.

[2] سحره : رئته.

[3] لم تخرج ناره.

[4] الكلال : الإعياء ،

وقال بشر بن المعتمر فى مثل ذلك [١]:-

ومن الكبائر مقول متتعتع .:. جم التنحنح متعب مبهور [٢]

وذلك أنه شهد ريسان أبا بجير بن ريسان -يخطب .

وقال الأشل الأزرقى - من بعض أخوال عمران بن حطان الصفـــرى القعدى -

فى زيد بن جندب الأيادى خطيب الأزارقة - من الخوارج -

تنحنح زيد وسعل .:. لما رأى وقع الأسل[٣]

٤ اللجلجة :-

من الأمور التى تعيب الخطيب فى فصاحته وبيانه : اللجلجة .وهى :- التردد فى الكلام . وقد قال اللهبى [٤]فى اللجلاج:-

ليس خطيب القوم باللجلاج .:. ولا الذى يزحل كالهلباج [٥]

---

(١) هو صاحب البشرية . انتهت إليه رئاسة المعتزلة ببغداد . وانفرد عن أصحابه فى بعض المسائل وكان نخاسا فى الرقيق توفى سنة ٢١٠ هجرية.

(٢) مقول : كثير القول .التتعتع : غير الثابت .كثير التنحنح : متعب شديد التعب .

(٣) الأسل : الرماح .راجع البيان والتبيين ج١ ص ٤١-٤٢ .

(٤) اللهبى : هو الفضل بن العباس بن عتبة بن أبى لهب أحد شعراء بنى هاشم . وقد على عبد الملك بن مروان.

(٥) يزحل : يزل عن مقامه . الهلباج : الأحمق شديد الحمق .

ورب بيداء وليل داج .:. هتكته بالنص والإدلاج[١]

وقال محمد بن سلام الجمحى : كان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه إذا رأى الرجل يتلجلج فى كلامه . قال : خالق هـــذا . وخـــالق عمرو بن العاص واحد.[٢]

د التمتمة والفأفأة :-

من العيوب التى تحط من قدر الخطيب فى نظر الجمهور . وتكـــون مثار ضحكهم عليه . وسخريتهم منه . التمتمة . وهى : تردد حـــروف التاء والميم .

والفأفاة : وهى تردد حرف الفاء .أثناء كلامه أو خطبته .

وقال الأصمعى : إذا تتعتع اللسان فى التاء . فهو تمتام .وإذا تتعتع فى الفاء فهو فأفاء .وأنشد لرؤبة بن العجاج:

ياحمد ذات المنطق التمتام .:. كأن وسواسك فى اللمام

حديث شيطان بنى همام

وإنما ذلك كما قال أبو الزحف :-

لست بفأفاء ولا تمتام .:. ولا كثير الهجر فى المنام

---

(١) النص : السير الشديد . والإدلاج : السير فى أول الليل .

(٢) البيان و التبيين ج١ ص٣٩ .

وأنشد أيضا للخولانى فى كلمة له :-

إن السياط تركن لاستك منطقا .:. كمقالة التمتام ليس بمعرب

فجعل الخولانى التمتام غير معرب عن معناه .ولا مفصح بحاجته .[١]

٦- الحبسة:-

هى ثقل فى النطق يمنع البيان .يقال فى لسانه حبسة إذا كان الكلام يثقل حتى لايسمع قوله . ولم يصل لحد الفأفأة والتمتمة.[٢]

وتسمى الحبسة الصوت المرتعش . وهذا العيب النطقى ينتج عن أسباب كثير من أهمها:-

أ- التنفس بطريقة خاطئة .

ب- إجهاد الصوت بحمله على طبقات لا تلائمه.

ج- سوء استعمال المناطق الصوتية والتنقل بينها .

د- الضعف العصبى .والشيخوخة .والخوف أو الحياء و الخجل .[٣]

هـ- عدم التحضير الدقيق الكافى لموضوع الخطبة .

---

(١) السابق ج١ ص ٣٧-٣٨ .

(٢) البيان والتبيين ج١ ص٣٩ .

(٣) فن الإلقاء ص١١٦ .

٧- الحكلة :-

الذى فى لسانه حكلة هو الذى لايسمع صوته .أو هـى نقصـان آلـة النطق . وعجز أداة اللفظ حتى لاتعرف معانيه إلا بالاستدلال .[١]
والحكلة تسمى الصوت الخافت .أو المنطفيء الرنين .
وكل إنسان يستطيع أن يستعمل هذا الصوت . عند الهمس لمن يحدثه خشية سماع الجديث من أحد غيره.
والحكلة قد تكون ناتجة إما عن أسباب عضوية تتعلق بعيب فطرى فى الأوتار الصوتية وإما بحادث وقع لهذه الأوتار .
وإما بأى مرض يصيب منطقة الرقبة .
وقد تكون الحكلة ناتجة عن عادة تأصلت منذ الطفولة .ثم تفاقمت حتى أصبحت طبيعة تشبه المرض .[٢]
وقد أدرك العرب وأهل الفصاحة قديما خطورة هذا العيب النطقى فقال محمد بن ذؤيب فى مديح عبد الملك بن صالح :-

ويفهم قول الحكل لو أن ذرة .:. تساود أخرى لم يفته سوادها

وقال التميمى فى هجائه لبنى تغلب :

ولكن حكلا لا تبين ودينها .:. عبادة أعلاج عليها البرانس[٣]

---

(١) البيان والتبيين ج١ ص٤٠
(٢) فن الإلقاء ص١١٧ .
(٣) البيان والتبيين ج١ ص٤٠ .

٨ـ اللكنة :ـ

يقال فى لسانه لكنة إذا أدخل بعض حروف العجم فى حروف العرب . وجذبت لسان المادة الأولى إلى المخرج الأول .[١]

٩ـ اللفف :ـ

اللفف هو إدخال الإنسان بعض كلامه فى بعض .يقال لمن بـه هـذا العيب ألف . أو بلسانه لفف وأنشد لأبى الزحف الراجز :-

كأن فيه لففا إذا نطق .:. من طول تحبيس وهم وأرق [٢]

وهذه العيوب الماضية ليست عيوبا فى تركيبة الحروف . فى أغلبها . عند الإنسان بل هى حركات عصبية تصيب الفك . فتوقف حركته عن الكلام . وترتب عليها : أن يسرع المتكلم فى إخراج ألفاظه . فـتزيد اللعثمة تبعا لذلك .

وقد تكون هذه الحركة العصبية :عارضة بسبب ارتباك أو خوف .

وقد تكون مزمنة دخلت فى نطاق العـادة . فـأصبحت مرضـا وعلاجها يكون :

أ- بتقوية الفك بالحركة البطيئة انفتاحا وانطباقا. وتحريكا إلى الجانبين

---

(١) البيان والتبيين ج١ ص٤٠

(٢) البيان والتبيين ج١ ص٤٠ .

ب- ثم بالتأنى فى الحديث . وغناء النغمات الهادئة الطويلة المدى فى بطء وتأن.

ج- ثم إن قوة الإرادة والعزيمة الصادقة عامل مهم فى كل علاج من هذه العلاجات المذكورة .

ثم هى عامل مهم أيضا فى القضاء على كل عادة غير مقبولة على كل سلوك غير مستحسن [1].

د. التشدق والتقعر والتقعب

من العيوب التى تعوق فصاحة الخطيب :-

التشدق : وهو التكلف الزائد على الحد للبلاغة والفصاحة من غير أهلها .

التقعر : وهو التحدث بأقصى الفم .

التقعب : وهو التقصر فى الكلام .

وكل هذه الأمور يبنغي أن يتنزه عنها الخطيب . لأنها إن وجدت فيه توحى بتكبره. وتعاليه على الجمهور . وبالتالى يسقط من أنظارهم.

حدث محمد بن عباد بن كاسب .كاتب زهير . مولى بجيلة .من سبى دابق. وكان شاعرا راوية . طلابة للعلم . علامة . قال :-

---

[1] فن الإلقاء ص١١٧ .

سمعت أبا داود بن جرير يقول - وقد جرى شيء من ذكر الخطب وتحبير الكلام واقتضابه [١]وصعوبة ذلك المقام وأهواله [٢]:-
تلخيص المعانى رفق . والاستعانة بالغريب عجز .[٣]
والتشادق من غير أهل البادية بغض .والنظر فى عيون الناس عى.
ومس اللحية هلك . والخروج عما بنى عليه أول الكلام إسهاب .[٤]

سابعا: جودة الإلقاء

مفهوم الإلقاء :-

الإلقاء هو التعبير عما يدور فى الذهن والوجدان من أفكار وانفعـالات ينطق بها اللسان . ثم تجىء الملامح والحركات متممة ومكملة ومبينـة لما يريده الملقى .

أو هو طريقة التحدث إلى الغير بإقناع واستمالة .

المراد بجودة الإلقاء :-

هى مخاطبة الجمهور بلغة العصر .فى مشاكل العصر بأسلوب العصر

---

(١) التحبير : التحضير والتزيين .والاقتضاب : الارتجال .
(٢) يعنى مقام الخطيب أمام الجمهور .
(٣) الغريب من الألفاظ.
(٤) البيان والتبيين ج١ ص٤٤ .

ووسائل العصر دون تكلف فى الإلقاء .ملتزما بالمبادىء والأخلاق الكريمة السائدة فى مجتمعه.

فالخطيب أمام جمهوره لن يستحوذ على إعجابهم إلا عندما يخطب بأسلوب فطرى -لا تكلف ولا تصنع فيه - لدرجة أن مستمعيه لن يحلموا أبدا بأنه تلقى تدريبا على فن الخطابة . فالنافذة الجيدة لا تجذب الاهتمام إليها .إنها فقط تبعث النور . والخطيب الجيد يشبهها حيث يبعث تأثيرا فى المستمع بأسلوب مقنع ومستميل .

فن إلقاء الخطبة :-

يراد بإلقاء الخطبة :طريقة التحدث بها إلى الناس .وإنهاء المعلومات إلى أذهانهم وقلوبهم إقناعا واستمالة .

وفن إلقاء الخطبة :-

هو فن النطق بالكلام على صورة توضح ألفاظه ومعانيه .

وتوضيح اللفظ:-

يأتى بدراسة الحروف الأبجدية فى مخارجها وصفاتها وكل ما يتعلق بها .

لتخرج من الفم سليمة كاملة لا يلتبس منها حرف بحرف . وبذلك لا تلتبس الكلمات ولاتخفى معانيها .

وتوضيح المعنى :-

يأتى بدراسة الصوت الإنسانى في معادنه وطبقاتـــه. دراســـة فنيـــة- مراعى فيها جرس الحروف ومقاطع الكلمات والجمل -تتيح للخطيـــب أن ينغمه بما يناسب المعانى . فتبدو واضحة مبينة .جميلة الوقع علـــى آذانه السامعين .

أثر الإلقاء فى نجاح الخطبة او فشلها

إن الإلقاء من اهم العوامل فى نجاح الخطبة والخطيب .أو فشلهما .

أ- فقد تكون الخطبة جيدة المعانى والأفكار .

حسنة الأسلوب والعبارات قوية فى مضمونها .موافقـــة لآمـــال وآلام الجماهير .

ثم لاتظفر بإلقـــاء جيـــد . فتضيع فائدتها .إذ لا يفهمها الســـــامعون . ولا تجذب انتباههم .

ب- وقد تكون الخطبة أقل من ذلك فى إعدادها وتكوينها.

ضحلة المعانى والأفكار . هشة الأسلوب . ضعيفة المضمون .بعيـــدة عن آمال وآلام الجماهير .

ولكنها حظيت بخطيب جيد الإلقاء .مؤثر فى العقول والقلوب .

فتكون فائدة الخطبة أكبر .لأن جودة إلقائها تنهى إلى الســـامعين كـــل جزئية منها فتكون فائدتهم منها أكبر وأكثر .

والخطيب الموفق هو الذى يستطيع أن يشد انتباه السامعين .

ويربطهم به .فيتابعون أفكاره .ويشاركون عواطفه وانفعالاته .

وأكثر من هذا: أن تكون خطبته موحية .تولد فيهم أفكارا ومعان جديدة توقظ عواطفهم . وتوجه مشاعرهم إلى ما يدعو إليه .

ولا يكون شيء من هذا إلا مع الإلقاء الجيد المثير.[١]

فالإلقاء الجيد يجعل المادة الضئيلة ذات شأن كبير .

وقد لوحظ فى المباريات الجامعية أن الخطيب الذى يتميز بأفضل مادة لايفوز دائما . بل الخطيب الذى يستطيع أن يتكلم بشكل جيد للغايـــة. فتظهر مادته هى الأفضل .

قال اللورد مورلى - مرة بمرح سافر :-

هناك ثلاثة أشياء مهمة فى الخطاب- أى الخطبة أوالخطابة :-

من يلقيه ؟!وكيف يلقيه ؟! وما الذى يقوله ؟!

والشيء الأقل أهمية من بين هذه الصفات الثلاثة . هوالأخيرة .فـــهل هذه مغالاة ؟!

أجل !

لكن امسح ظاهرها وستجد الحقيقة تشع من داخلها.[٢]

- وكتب ادمندبورك -خطبا ممتازة جدا من ناحية المنطـــق والحكمـــة والإنشاء .

---

[١] الخطابة : د. عبد الجليل شلبى ص٤٣ .

[٢] التأثير فى الجماهير عن طريق الخطابة ,ص٩٠ .

حتى إنها تدرس كنماذج خطابية رفيعة فى نصف جامعات أمريكا .

ومع ذلك كان -ادمندبورك- خطيبا فاشلا!!!

إذ لم تكن لديه القدرة على إيصال كنوزه الثمينة .وإظهارها بطريقـــة لائقة .

فأطلق عليه اسم - ناقوس عشاء مجلس العموم -.

فعندما ينهض لإلقاء خطاب .يبدأ سائر الأعضاء بالســعال والتملــص والخروج جماعات جماعات !!![1]

لذا انتبه جيدا لطريقة إلقائك !!!.

مكونات الإلقاء الجيد

يتكون الإلقاء الجيد من عدة مكونات من أهمها :-

أ-الوقفة المعتدلة . ب- جهارة الصوت وقوته .

ج- تلوين الصوت وتكييفه . د- حسن مخارج الحروف.

هـ- حسن الإشارة بالأعضاء .

١- الوقفة المعتدلة :

من السنن المتبعة عند كافة الأمم والشعوب قديما وحديثا :- أن الخطيب يخطب جمهوره .

---

[1] السابق ص٩٠ .

قائما على رجليه على الأرض .

أو على شيء مرتفع عن الأرض كالمنبر.

أو على ظهر راحلة إن لم يوجد المنبر .

ولم يرد أن الخطبة تكون من جلوس إلا فى حالتين:-

الأولى :إذا كان الخطيب لايستطيع الوقوف لعذر أو مرض.

الثانية :خطبة الزواج أو الإملاك .

ولذا يقول الهيثم بن عدى بن حاتم الطائى :- لم تكن الخطباء تخطب قعودا إلا فى خطبة النكاح .[١]

ويضاف إليهما إذا لحق الخطيب عذر أو مرض .

ولكن : لماذا الوقوف فى الخطب عموما؟! ولماذا الجلوس فى خطب الزواج خاصة ؟!

اعتاد الخطباء الوقوف فى الخطبة إلا فى خطبة الزواج .

لأن وقوف الخطيب مهم جدا لعدة أسباب من أهمها :-

أ- ليتطلع الخطيب إلى جمهوره ويشرف عليه بنظره ليرى مدى نشاطهم لسماع الخطبة .أو سأمهم عندما يسأمون ولذا قال مطرف بن عبد الله .[٢]

---

[١] البيان والتبيين ج١ ص١١٨ .

[٢] هو أبو عبد الله مطرف بن عبد الله بن الشخير .أحد التابعين .وكان من عباد أهل البصرة وزهادهم وكان لأبيه صحبة . وكان يقص فى مكان أبيه بمسجد البصرة توفى سنة ٩٥ هجرية

- لا تطعم طعامك من لايشتهيه .

- ولا تقبل بحديثك على من لايقبل عليك بوجهه.

وقال عبد الله بن مسعود :-

حدث الناس ما حدجوك بأبصارهم . وأذنوا لك بأسماعهم . وإذا رأيت منهم فترة فأمسك .

وقال بعض الحكماء :-

من لم ينشط لحديثك فارفع عنه مؤونة الاستماع منك .[١]

ب- ليتطلع الجمهور إلى الخطيب برؤيتهم شخصه .فيتأثرون به مقدما إيجابا أو سلبا.

ج- لإظهار ملامحه وحركاته على وجهه وجوارحه .فيكون ذلك أبلـغ فى التأثير والاستمالة .

د- وقفة الخطيب تمكنه من إبعاد صوته .وتلوينه .وتكييفه مع المكـان والجمهور .

أما أسباب جلوس الخطباء فى خطب الإملاك والتأبين .فمنها :-

١- ليتقرب نظر الخطيب من وجوه الجمهور .ونظر الجمـهور مـن وجه الخطيب .

---

[١] البيان والتبيين ج١ ص١٠٣-١٠٤ .

٢- ولأن الخطيب فى جلوسه يكون الجمهور كالنظراء والأكفاء له .
وإذا عــلا علـــى المنبــر أو غيــره صـــار الجمهور كالسوقة
أو الرعية له.

٣- ولأن هذا النوع من الخطب أقرب إلـــى الـــدرس أو المحاضرة
أو الحديث أو الوصية .وليس فيها ما يدعو إلى حرارة العاطفة .
وجهارة الصوت .

٤- ولأن المراد من هـــذه الخطب هـــو الإخبار بالزواج وتزكيته .
أو الاعتبار بالموت فى خطب التأبين . وليس فيها ما يدعو إلى
الإثارة والاستمالة .

٥- ولأن الجمهور فى هذه الخطب - غالبا ما- يكون قليل العدد .

ولذا لما سئل عبد الله بن المقفع عن قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه :-

- ما يتصعدنى كلام كما تتصعدنى خطبة النكاح [1]قال:-

ماأعرفه إلا أن يكون أراد قرب الوجه من الوجوه .ونظر الحداق مـــن قرب فى أجواف الحداق .ولأنه إذا كان جالسا معــــهم كـــانوا كأنــــهم نظراء وأكفاء .فإذا علا المنبر صاروا سوقة ورعية .

وقد ذهب ذاهبون إلى تأويل قـــول عمر . يرجع إلى أن الخطيب

[1] تصعده الأمر تصعدا :أى شق عليه .

لا يجد بدا من تزكية الخاطب .فلعله كره أن يمدحه بما ليس فيه فيكون قد قال زورا وغر القوم من صاحبه .ولعمرى عن هذا التأويل ليجوز إذا كان الخطيب موقوفا على الخطابة .فأما عمر بن الخطاب وأشباهه من الأئمة الراشدين -رضوان الله تعالى عليهم أجمعين -فلم يكونوا ليتكلفوا ذلك إلا فيمن يستحق المدح .[١]

هيئة خطباء العرب والمسلمين أثناء الخطبة

كان الخطباء العرب والمسلمون قديما يلتزمون بهيئة ينفردون بها عن غيرهم .وتتمثل هذه الهيئة فى أمرين :-

الأول : أنهم يخطبون وقوفا على مكان بارزا من الأرض .أو على ظهر راحلة .

الثانى : أنهم يعتمدون على عصا أو مخصرة[٢] فى حالة السلم.أو على سيف أو قوس أو رمح فى حالة الحرب .

وإذا ما أشاروا بما يمسكونه بأيديهم من عصا أو رمح فكأنهم قد وصلوا بأيديهم أيديا أخر .

وتمسك العرب والمسلمين بهذه الهيئة أثناء الخطبة فيه :-

١- إشعار للمخاطب بهيبة الخطيب .وعلو منزلته فيتأثر به .

---

[١] البيان والتبيين ج١ ص١١٧ .

[٢] المخصرة : هى ما يختصره الإنسان فيمسكه بيده من عصا أو مقرعة .

ويدلك على ذلك قول الأنصارى :-

وسارت لنا سيارة ذات سؤدد

بكوم المطايا والخيول والجماهر

يؤمون ملك الشام حتى تمكنوا

ملوكا بأرض الشام فوق المنابر

يصيبون فصل القول فى كل خطبة

إذا وصلوا أيمانهم بالمخاصر

وقال الكميت بن زيد :-

أهل التجارب فى المحا .:. فل والمقاول[1] بالمخاصر[2]

٢- إن مسك الخطيب للعصا أو المخصرة أو الرمح .دليل على التأهب للخطبة والتهيؤ للإطناب والإطالة . وذلك شيء خاص فى خطباء العرب ومقصور عليهم .ومنسوب إليهم . حتى إنهم ليذهبون فى حوائجهم والمخاصر بأيديهم إلفا لها .وتوقعا لبعض ما يوجب حملها والإشارة بها.[3]

---

(١) المقاول : جمع مقول . وهو البين الطريف اللسان.
(٢) البيان والتبيين ج٣،١ ص ٣٧٠ :٣٧١ .
(٣) البيان والتبيين ج٣ ص١١٧ .

لذا قال كثير[١] فى الإسلام :-

إذا قرعوا المنابر ثم خطوا .:. بأطراف المخاصر كالغضاب

وقال أبو عبيدة : سأل معاوية شيخا من بقايا العرب:

أى العرب رأيته أضخم شأنا؟

قال حصن بن حذيفة :[٢]

رأيته متوكئا على قوسه يقسم فى الحليفين :

أسد وغطفان .[٣]

وقال عبد الله بن رؤبة :سأل رجل رؤبة عن أخطب بنى تميم .

فقال : خداش بن لبيد بن بيبة بن خالد .يعنى : البعيث الشاعر .أخطب الناس .[٤]وإنما قيل له البعيث .لقوله :

تبعث منى ما تبعث بعدما .:. أمرت حبالى كل مرتها شزرا

---

[١] هو كثير عزة يكنى أبا صخر .وكان من الحمقى . عاصر الدولة الأموية وقال شعرا فى كثير من حكامها كعمر بن عبد العزيز بن عبد الملك ـ الجاحظ ج٢ ص٢٥١ .

[٢] هو حصن بن حذيفة بن بدر القرارى .كان قائد ذبيان يوم شعب جبله . وهو والد عيينه بن حصن .-الجاحظ ج٣ ص٩ .

[٣] البيان والتبيين ج٣ ص٩ .

[٤] السابق ج١ ص٢٠٤ .

قال أبو اليقظان -سحيم بن حفص - : كانوا يقولون :أخطب بني تميم :

البعيث إذا أخذ القناة فهزها .ثم اعتمد بها على الأرض .ثم رفعها .

وقال يونس :[١]لعمرى :لئن كان مغلبا فى الشعر .لقد كان غلب فى الخطب .

وإذا قالوا :غلب فهو الغالب .وإذا قالوا مغلب فهو المغلوب [٢]

٣- كما كان العرب والمسلمون يرون فى هذه العادة زيادة فى الوقار والحلم . حتى قال الجاحظ :-

وما زال المطيل القيام بالموعظة والقراءة أو التلاوة يتخذ العصا عند طول القيام .ويتوكأ عليها عند المشي .كأن ذلك .زائد فى التكهل والزماتة .[٣]وفى نفى السخف والخفة .[٤]

٤- ولم يكن العرب والمسلمون يلتزمون بهذه العادة .إلا لأن لها أصلا ثابتا .ومصدرا كريما يقتدى به.

---

[١] هو أبو عبد الرحمن يونس بن حبيب الضبى .إمام نحاة البصرة فى عصره . أخذ عن أبى عمرو بن العلاء .
وأخذ عنه سيبويه .وروى عنه فى كتابه وعنه أخذ الكسائى والفراء وأبو عبيدة وأبو زيد .ولد سنة ٨٠ .

[٢] البيان والتبيين ج٣ ص ١١ .

[٣] الزماتة : تعنى الحلم والوقار.

[٤] السابق ج٣ ص٩٠ .

- والدليل على أن أخذ العصا مأخوذ من أصل كريم .ومعدن شريف ومن المواضع التى لا يعيبها إلا جاهل . ولا يعترض عليها إلا معاند:

. اتخاذ سليمان بن داود صلى الله عليه وسلم .العصا لخطبته وموعظته .ولمقاماته وطول صلاته . ولطول التلاوة والانتصاب . فجعلها لتلك الخصال جامعة .قال تعالى:

((فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته .فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين))[١]

والمنسأة هي العصا.[٢]

٥- هذا بالإضافة إلى أن هذه الأشياء من زينة الرجال .فضلا عن الخطباء .

متى تكون وقفة الخطيب مؤثرة :-

تكون وقفة الخطيب مؤثرة وجاذبة للأنظار .إذا كان الخطيب معتدلا فى وقفته . مقدما رجلا ومؤخرا أخرى .مبرزا صدره

---

[١] سورة سبأ آية ١٤ .

[٢] البيان والتبيين ج٣ ص ٣٠ .

للأمام. رافعا هامته إلى العلا. معتزا بموقفه وبرسالته .مؤمنا بنجاح خطبته . مراعيا حال جمهوره .

فوائد الوقفة المعتدلة :-

إن الوقفة المعتدلة لها كثير من الفوائد التى تعود على الخطيب والخطبة بالنجاح والتأثير . ومن أهم هذه الفوائد :-

إن الوقفة المعتدلة تؤدى إلى اتزان جسم الخطيب .واستراحة نفسه . وجهارة صوته.بالإضافة إلى أنها تضفى على الخطيب فخامة وعظمة. يحتاجها الخطيب لكى يؤثر بحاله ومقاله فى جمهوره .

ضرورة التريث مع الوقفة المعتدلة :-

مع ضرورة الوقفة المعتدلة لنجاح الخطيب وخطبته .لابد من التريث قليلا .قبل البدء فى الخطبة .وذلك :-

أ- ليشرئب إليه الجمهور .ويتطلع إليه بالسمع والبصر والقلب والعقل.

ب- ليتعرف الخطيب على الجمهور وأحواله من خلال نظراته إليه .

ج- إن كان سبقه على هذا المنبر خطيب آخر .فإن التريث هنا يكون ضروريا لما - سبق - بالإضافة إلى هدوء المكان ولإزالة صدى الخطيب السابق من آذان وأذهان الجمهور . فينتبه للخطيب الجديد على شغف وتقبل لما يقوله .

٢- جهارة الصوت وقوته :-

من أهم الأمور التى تكون الإلقاء الجيد عند الخطيب :-
جهارة الصوت وقوته .

والصوت نعمة من أجل نعم الله تعالى على الإنسان .فضلا عن الخطيب . لأن الخطيب كثيرا ما يسحر بصوته كما يسحر ببلاغته .
ولذا قيل :-

البلاغة تكون فى الصوت والملامح .كما تكون فى اختيار الكلام .(١)
ومما يساعد الخطيب على قوة صوته. والاحتفاظ بها فى الخطبة كلها: أن ينطق متمهلا .لأن السرعة والعجلة فى النطق . تضعف الصوت و تجهده .

وكان العرب قديما يمدحون الخطيب الجهير الصوت .ويذمون خافته ولذلك تشادقوا فى الكلام .ومدحوا سعة الفم . وذموا صغره .
فقيل لأعرابى :ما الجمال ؟!

قال :طول القامة .وضخم الهامة.ورحب الشدق.وبعد الصوت.(٢)
حتى أن العرب مدحوا جهارة الصوت فى غير الخطيب .

---

(١) فن الخطابة : الحوفى ص٣٠ .
(٢) البيان والتبين ج١ ص١٢١ . وراجع الموضوع بالتفصيل فى صفحة : ٦٥-٦٨ وما بعدها .

وقد كان العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه -جـــهيرا[١]- جـــهير الصوت .وقد مدح بذلك .وقد نفع الله المسلمين بجهارة صوتـــه يـــوم حنين . حين ذهب الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . فنـــادى العباس :-

ياأصحاب سورة البقرة .هذا رسول الله .فتراجع القوم .وأنزل الله عـز وجل النصر وأتى بالفتح .[٢]

وبهذا يتضح أن جهارة الصوت للخطيب لها غاية الأهمية .فى جـــودة الإلقاء .

أثر التربية فى تكوين جهارة الصوت :-

ينبغى أن نؤكد دور التربية وأثرها فى تكوين الصوت بصفة عامة لكل البشر .خاصة سلوك الأبوين والأهل مع الطفل فى مراحل طفولته وصباه .

فكثير من الناس يحملون أطفالهم على الهدوء والسكون والحـــــذر الشديد .ظنا منهم أن هذه الصفات يحتمها الأدب والنظام .لـــذا :فـــهم يسرفون فى منع الأطفال من الصراخ والصياح.

وغيرها من الأمور التى تربى فى الإنسان جهارة الصوت حتى .

---

[١] الجهير : ذو المنظر والهيئة الحسنة .
[٢] البيان والتبيين ج١ ص١٢٣ .

إن بعض الناس ينهرون أطفالهم إذا بكوا .

وإذا نشأ الطفل على هذه النشأة .فإنه بطبيعة الحال لا يستعمل صوته إلا فى الطبقات السفلى الخافتة .وتبقى الطبقات العليا حبيسة فى صدره .حتى يكبر .وحينئذ لا تستجيب له إذا احتاج إليها يوما ما .

وأذكر بهذه المناسبة قصة عن أعرابى من البادية .وفد على دمشق أيام خلافة عبد الملك بن مروان .وحضر مجلس الخليفة .حيث كان الخلفاء والأمراء فى تلك الأيام يفتحون أبوابهم لكل طارق.ولا يمنعون أحدا من حضور مجالسهم .

وبينما الأعرابى فى مجلس الخليفة .إذ بصوت الوليد بن عبد الملك وهو طفل صغير . قد ارتفع صوته في بكاء وصراخ شديد فقام عبد الملك بن مروان غاضبا .وأمر أن يكف الصبى عن البكاء .

فقال له الأعرابى :دعه ياأمير المؤمنين يبكى .فإنه أرحب لصدره وأجلى لصوته .وأنقى لعينيه.[1]

والأعرابى يريد بذلك :- أن البكاء الصارخ يكسب الطفل رحابة فى الصدر والرئتين .ويكسبه جلاء ووضوحا فى الصوت حيث يتمرن على الطبقات العالية .ويكسبه نقاء ونظافة فى العينين حيث تتدفع الدموع فتغسلهما.

---

[1] فن الإلقاء ص١١٢ .

٣:- تلوين الصوت وتكييفه :-

تتدفق طبقات الصوت خلال المحادثة نحو الأعلي والأسفل.
وبالعكس .فلا تستقر بل تبقى متموجة كسطح البحر.

لماذا ؟!

لا أحد يعلم ذلك .ولا أحد يهتم بذلك .لكن النتيجة تبعث على الارتياح.
ذلك هو شأن الفطرة التى فطر الله عليها الإنسان.فليس علينا ان نتعلـم
ذلك .بل جاء إلينا حين كنا أطفالاً من غير أن نبحث أو نعيه .
لكن دعنا نقف ونواجه الجمهور !!!
عندما يواجه الخطيب جمهورا ينبغى ألا يحدثه بصوت رتيب لأن ذاك
يصرف الجمهور عن متابعة الخطيب .بل يمل منه وينصرف عنه .
لذا ينصح علماء النفس والخطابة بأن يبتعد الخطيب عن هذا اللون من
مخاطبة الجمهور .فيقولون لكل خطيب :-لا تجعل صوتك على وتيرة
واحدة :-عندما تجد نفسك تتحدث بطريقة رتيبة - عادة تكون مرتفعــة
- توقف قليلا .وقل فى نفسك :
أنا أتكلم كالهمج .يجب أن أتحدث إلى هؤلاء الناس .يجب أن أكــــون
إنسانا عاديا . ولكن !!!
هل يساعدك هذا النوع من تعليم ذاتك ؟!!! ربما قليلا .
إن التوقف ذاته سيساعدك .

وعليك أن تحقق خلاصك بالتدريب والمران المتواصل.
يمكنك أن تقول آية جملة أو كلمة تختارها .فتكون بمثابة شجرة الغار الخضراء فى الردهة الأمامية لبيتك أو منزلك .وذلك بأن تقولها فجـأة بطبقة صوتية منخفضة أومرتفعة.لقد فعل ذلك كل خطيب مشهور .[١]

إذاً يتضح لنا من هذه الوصايا والتجارب لعلماء النفس والخطابة .
أن من أهم مكونات جودة الإلقاء .ونجاح الخطيب فى خطبته :-
أن يتمكن الخطيب من تطويع صوته لمَواقفه وانفعالاته وتعبيراته .
ولا يجعله على وتيرة واحدة .لأنها تجعله رتيبـاً ممـلاً ينفـر منـه الجمهور .وإذا كانت مكبرات الصوت فى العصـر الحـاضر .قـد انتشرت ووفرت على الخطباء بعض الجهد .إلا أنها تذهب بكثير مـن نغمات الخطيب ونبرات وتعبير صوته عن انفعالاته .

كيف يتمكن الخطيب من تلوين صوته ؟!

يستطيع الخطيب أن يلون صوته حسب انفعالاته إذا اتبع منـهجاً علمياً سليماً يتمثل فى أمور كثيرة .من أهمها:-
أ- أن يلائم الخطيب بين مقدرته الصوتية .والمكان الذى يخطب فيه .
لأن الصوت فى الأماكن المغلقة أقوى إسماعاً منه فـى الأمـاكن المفتوحة .أو الخلاء.

---

[١] التأثير فى الجماهير عن طريق الخطابة :ص٩٩ .

كما أن الصوت فى الهواء الساخن - الصيف - أسرع سريانا منـــه فى الهواء البارد - الشتاء .

ب- أن يتجه الخطيب بصوته إلى وسط جمهوره .لا إلى أحد جانبيه .

ج- أن يوقع الخطيب بصوته .فيجعل نغماته ونبراته ملائمة لأفكـــاره وعواطفه .(تجسيد المعانى والأفكار) .

فهو مبتهج تارة .ومستاء أخرى .وهو راض حينا .وساخط آخر .

وهو متيقن تارة . وشاك أخرى .وهو مسرور وقتا .وحزين آخر .

وهو متعجب حينا . ومتهكم آخر ٠٠٠٠إلخ .

فلا بد أن يكون صوت الخطيب حسب حالته العقليـــة والعاطفيـــة والنفسية ليلائم تفكيره وشعوره . ويســـاعده علـــى تصويـــر مـــراده لجمهوره .[1]

فليس بخفى أن مادة الصوت هى مظهر الانفعال النفسى .وأن هـذا الانفعال بطبيعته .إنما هو سبب في تنويع الصوت بما يخرجه فيه مدا. أو غنة .أو لينا . أو شدة بما يهيىء له من الحركـــات المختلفـــة فـــى اضطرابه وتتابعه على مقادير تناسب ما في النفس من أصولها .

ثم هو يجعل الصوت إلى الإيجاز والاجتماع. والإطناب والبسط . بمقدار ما يكسبه من الارتفاع والاهتزاز . وبعد المد ونحوها.

---

[1] فن الخطابة : د . الحوفى ص٣١ ٠

مما هو بلاغة الصوت فى لغة الموسيقى .[١]

د-أن يتحاشى الخطيب الغلو فى رفع الصوت إلى درجة تصك الآذان.
أو الهمس لدرجة تجهد السامعين .أو السرعة لدرجة تتطاير معها الحروف .وتتآكل معها الكلمات .أو البطء لدرجة تستدعى التثاؤب والنعاس .أو الغموض لدرجة تنهك أذهان السامعين فى فهمها.[٢]

لذا يقول بعض السلف فى هذا المعنى :- ألا يرفع صوته زائدا على قدر الحاجة . ولايخفضه خفضا لايحصل معه كمال الفائدة .
والأولى أن لا يجاوز صوته مجلسه.ولا يقصر عن سماع الحاضرين.
ولا يسرد الكلام سردا.بل يرتله ويرتبه .[٣]

هـ- كذلك ينبغى على الخطيب أن يراعى العناية بمقاطع الجمل لتتصل فى الآذان فإن المقطع المبهم ينطوى بين شفتيه .فلا يسمع ولايفهم.

و- وإذا كانت الخطبة طويلة .والمكان فسيحا .فعلى الخطيب أن يقتصد فى صوته حتى لا يكل ولا يمل .

ومما يساعده على الاحتفاظ بقوة صوته فى الخطبة كلها :-

---

[١] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية .مصطفى صادق الرافعى ص٢٤٥ ط ٦ مطبعة الاستقامة .نشر المكتبة التجارية بالقاهرة ١٩٥٦ م.
[٢] الدعوة والخطابة ص١٥ .
[٣] فن الخطابة : د. الحوفى ص٣١ .

أن ينطلق متمهلاً لأن التسرع والتعجل فى النطق يضعـــف الصـــوت ويجهده .[١]

حسن مخارج الحروف:-

من أبرز الأمور التى تؤدى بالخطيب إلى الإلقاء الجيـــد وتكـــون سببا فى نجاح الخطبة :سلامة مخارج الحروف وتمييز أجزاء الكلمـــة بعضها من بعض .

وكان العرب - وهم أهل الفصاحة وأرباب البيـــان - يكرهـــون مـــن الخطيب أن يكون به عيب من عيوب النطق .كأن يكون ألثغا .ينطـــق بالشين سينا .أو بالراء غينا .أو ياء أو لاما.أو ينطق بالكاف تاء ... إلخ .

وذلك لأن هذا العيب يضيع بهاء الخطبة . وقد يوقع السامعين فـــى لبس.أو على الأقل يكلفهم شيئا من المشقة فى فهم كلمات الخطبة .

وقد أفرد الجاحظ فى كتابه - البيان والتبيين[٢] -فصلا للحـــروف التى تدخلها اللثغة .وذكر منها أربعة أحرف :- القاف والسين والـــلام والراء .وأورد صورا من النطق بها .كما ذكر بعضا من مشـــهورى الخطباء الذين كـــان بهم من هذا العيب النطقى .وكيف كانوا يتغلبون

---

[١] الدعوة المؤثرة :جمال ماضى ص٨٦ .

[٢] ج١ ص٣٤-٧٤ .

عليه بمعالجته .أو بإبدال كلمات مرادفة للكلمة التى بها حـــرف مـــن حروف اللثغة .[١]

٥- حسن الإشارة :-

لابد لجودة الإلقاء من الإشارة باليد أو بغيرها من الجـــوارح .لأن حركة الخطيب أو إشارته لها أكبر الأثر فى توضيح المعنى وتثبيتـــه فى أذهان السامعين .

ولذا يقول الجاحظ :- والإشارة واللفظ شريكان ونعم العون هى له ونعم الترجمان هي عنه وما أكثر ما تنوب عن اللفظ. وما تغنى عـــن تغني الخط .[٢]

ويقصد بالإشارة هنا : الإشارة التى يمكن أن تتشارك مع اللفـــظ والنبرة وتساعد على تثبيت معنى اللفظ فى النفس والذهن لأن اللفظ وحده طريقه الأذن أما اللفظ مع الإشارة يشرك العين مـــع الأذن فـــى الإحاطة بمعنى اللفظ وتصـــوره و لذلك كانت الحركات عنصر العمل الروائي أو التمثيلي أو المسرحي وهـــى كذلك جزء من أجزاء العمل الخطابى لنفعها وإفادتها .[٣]

---

[١] راجع صفحة (٧٦-٨٦) من هذا البحث .
[٢] البيان والتبيين ج١ ص٧٨ .
[٣] محاضرات فى علم الخطابة النظرية والعملية د. محمد شامة وآخرين .بالأشتراك ص ١٢٦

لذا يقول العلماء :

إن الإشارة لغة العالم وإنها لتحدث من التأثير ما لا يتم لغة لغـــات الناس .[١]

فالإشارة لغة منظورة أو لغة متحركة مفهومة فإذا اقترنت الإشارة باللغة فى موضوعها الملائم :أثرت تأثيرا عظيما .

وصوت الخطيب مهما تتغير نبراته ونغماته لا يكفى للتعبير عـــن العواطف كلها فلا بد أن تساعده حركات اليد والرأس والنكبين وملامح الوجه ونظرات العينين وإشارات الحاجب ٠٠٠إلخ .[٢]

فاستعمال إشارة اليد تؤكد المعنى .وإشارات ملامح الوجه تكشــف أسرار الضمير .

والخطيب يستطيع أن يعبر بملامح وجهه عن اللذة والألم والرضـا والسخط والميل والنفور والحزن والسرور ٠٠٠٠إلخ .

فالوجه يعبر عن الانفعالات بما يرتسم على صفحته من خطـــوط وأشكال . فارتفاع خطوط الجبهة قليلا .يمثل الانتباه وارتفاعها كثـيرا يرسم الدهشة أو الفرح العظيم أو الألم الأليم وانخفاضها يـــدل علـــى القلق والتفكير.٠٠٠٠وهكذا .

والعين هى النافذة التى نطل منها على العالم . ويطل منها علينـــا

---

(١) الخطابة فى موكب الدعوة ص١١٠ .
(٢) فن الخطابة للحوفى ص٢٨ .

العالم أيضا .تشف نظراتها عن العواطف وتكشف عما بدخلة النفـــس وقد ورد عن الشعراء الكثير والكثير عن دلالات الإشارة بالعين ومـــن ذلك :-

أشارت بطرف العين خيفة أهلها.:. إشارة مذعور ولـــم تتكلـــم
فأيقنت أن الطرف قد قال مرحبا.:. وأهلا وسهلا بالحبيب المتيم

وقال الآخر :-

وللقلب علي القلـــــــــ .:. ـــب دليل حين يلقاه
وفي الناس من النـــــا .:. س مقاييس وأشبـــاه
وفي العين غني للمر .:. ء أن تنطق فـــــاه

وقال الآخر :-

ترى عينها عينى فتعرف وحيها
وتعرف عينى ما به الوحى يرجع

وقال الآخر :-

وعين الفتى تبدى الذى فى ضميره وتعرف بالنجوى الحديث المغمسا[١]

وقال الآخر :-

العين تبدى فى نفس صاحبها من المحبـــة أو بغض إذا كانـــا
والعين تنطق والأفواه صامتة حتى ترى من ضمير القلب تبيانا[٢]

---

[١] المستخفي.
[٢] البيان والتبيين ج١ ص ٧٨-٧٩ .

وبهذا يتبين أن إشارة العين تنبىء عما بداخل النفس من وجـــدان وعواطف وأحاسيس قد لا يستطيع النطق أن يفصح عنها .

فمثلا العين المفتوحة تمثل الغيظ أو الخوف أو الإعجاب . والعيـن المغلقة تشير إلى التواضع أو البغضاء .والنظر الشزر يــترجم عــن الاحتقار والاستهانة والكراهية . والعين المتحركة يمينا وشمالا تنبــىء عن الرياء والاشمئزاز . والعين المتطلعة إلى السماء ترمز إلى الدعاء والنظرة إلى الأرض تعبر عن اليأس أو الخشوع أو الحياء . و العيـن اللامعة ترجمان عن الظفر .

وكذلك الوقفة المعتدلة الناهضة تدل علـــى التحـدي . والوقفـة المنحنية تدل علي الحنان والشفقة والاستسلام .

وانطلاق الذراع إلى الأمام ينبىء عن التقدم وعن التهديد ٠٠٠وهكذا . وقد يتهدد رافع السوط والسيف فيكون ذلك زاجرا رادعـــا. ويكـون وعيدا وتحذيرا .

وقد يجد الخطيب من اللائق ألا يصرح بلفظ ما . فيشـير إشـارة تؤدى معناه فتكون أبرع دلالة وأليق بالمقام .[1]

ولذا يرى علماء النفس وعلماء الخطابة وفن الإلقـاء أنـه مـن الضروري مليء مكـان الخطيب - المنبر - بالأنـوار لتظهر كل

---

[1] فن الخطابة للحوفى ص ٢٩

حركات الخطيب للجمهور .فينصحون كل خطيب بقولهم :-
املأ الغرفة .بأنوار وأقرأ مقالات ديفد بيلاسكو حول الإنتاج المسرحى لتكشف أن الخطيب العادى ليست لديه أدنى فكرة عن الأهمية البالغـــة للإضاءة المناسبة .

دع الضوء يغمر وجهك فالناس يريدون رؤيتك لأن التغييرات التى تطرأ على تعابيرك هى جزء - وجزء حقيقي - من عملية التعبير عــن الذات وهى تعنى فى بعض الأحيان أكثر مما تعنيه كلماتك .

إذا وقفت تحت الأضواء مباشرة ربما يكسو الظـــل وجـــهك وإذا وقفت أمام الضوء مباشرة من المؤكد أن لا يبدو واضحا.

أليس من الحكمة إذا : أن تختار قبل أن تنهض للخطـــاب البقعـــة التى تمنحك أفضل إنارة ؟!!!وهو أن تقف مباشرة أمام الضوء فذلـــك هو المكان الصحيح .

لا تختبيء وراء الطاولة يريد الناس أن ينظروا إلى الرجل بكامله حتى إنهم ينحنون إلى جانب الممرات ليتمكنوا من رؤيته !!!

قال هنرى وارد بيتشر :-أهم شيء فى فن الخطابة هو الإنســـان لذلك :

لابد أن يقف الخطيب مثل قمم جنجفرو المكسوة بـــالثلوج التـــى تناطح سماء سويسرا الزرقاء .[١]

إذا فليس بدعا أو مستغربا على الخطيـــب أن يســـتعمل الإشـــارة للإفصاح عما بداخله .

ولكي تظهر الإشارة للجمهور لينفعل بها لابد أن تغمـــر الأنـــوار وجه الخطيب ليظهر كاملا أمام جمهوره.

ولأهمية الإشارة فى جذب انتباه السامع والتأثير فى عقله ووجدانـه بالإقناع والاستمالة :-

ورد الحديث عنها فى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

الإشارة فى القرآن الكريم :-

ورد ذكر الإشارة فى القرآن الكريم حكاية عن السيدة مريم العـــذراء ابنة عمران وأم المسيح عليه السلام فى قوله سبحانه :-

((فأتت به قومها تحمله . قالوا :يا مريم لقد جئت شيئا فريا.يـــأخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أم بغيا.فأشارت إليه .قالوا: كيف نكلم من فى المهد صبيا))[٢]

فقد ارتاب القوم فى شأن مريم عليها السلام.واستكبروا أمرها.

---

[١] التأثير فى الجماهير عن طريق الخطابة ص ١١٢-١١٣ .
[٢] سورة مريم آية ٢٧-٢٩ .

وقالوا عنها الكثير والكثير . معرضين بعرضها وشرفها .ذاهبين إلى الطعن فى كرامتها.وهو أشد ما يصيب المرأة فى حيائها وحياتها .
وتجاه هذا كله .أمرها الله تعالى .بالصمت وعدم الإفصاح عما فى نفسها تجاه قومها .

فلم يكن لها من مخرج . أو متنفس لما فى داخلها .سوى أنها - أشارت إليه -
فكانت إشارتها إلى ابنها المسيح عليه السلام أبلغ فى الدلالة عما فى نفسها . من النطق بالكلام .

الإشارة فى السنة النبوية :-

وقد استخدم النبى صلى الله عليه وسلم .الإشارة كوسيلة للتعبير عما يدور فى النفس من مشاعر . وأحاسيس . ولبيان مدى أهميتها فى إثارة مشاعر المستمع.

فقال صلى الله عليه وسلم :-

{ بعثت أنا والساعة كهاتين . وأشار بالسبابة والوسطى }[١]

فيكفى الخطيب دليلا فى استعماله للإشارة . أن أفصح الخلق صلى الله عليه وسلم عبر عما فى نفسه من معان جليلة بالإشارة .

---

[١] **الجامع الصحيح : للترمذى : كتاب الفتن ج٤ ،ص٤٢٩ .**

أهمية الإشارة للخطيب :-

الإشارة مهمة جدا للخطيب لما لها من فوائد جمة يحتاج إليها الخطيب أثناء خطبته :-

-إذ هى تساعد الخطيب على التنفس .وإعلاء الصوت .

- كما أنها تساعده على تفريج الصدر الممتلىء هواء .فلا ينال الخطيب تعب .

- بالإضافة إلى أنها تساعد على توضيح المعنى . بالإضافة إلى أخواتها من وسائل الإيضاح والبيان .والتى حصرها الجاحظ فى خمس وسائل حيث يقول :-

-وجميع أصناف الدلالات على المعانى من لفظ وغير لفظ .خمسة أشياء لا تنقص ولاتزيد .

أولها : اللفظ . ثم الإشارة . ثم العقد . ثم الخط . ثم الحال [1]تسمى نصبة .والنصبة هى الحال الدالة التى تقوم مقام الأصناف . وتقصر عن تلك الدلالات . ولكل واحد من تلك الخمسة صورة بائنة من صورة صاحبتها .وحلية مخالفة لحلية أختها .

وهى التى تكشف لك عن أعيان المعاني فى الجملة .ثم عن حقائقها فى التفسير . وعن أجناسها وأقدرها . وعن خاصها وعامها .وعن

---

(1) الهيئة والسمة العامة للخطيب .

وعن طبقاتها فى السار والضار . وعما يكون منها لغــوا بــهرجا[١] وساقطا مطروحا.

والإشارة واللفظ شريكان . ونعم العون هى له . ونعم الترجمـــان هى عنه .وما أكثر ما تنوب عن اللفظ .وما تغنى عن الخط ....

وفى الإشارة بالطرف والحاجب وغير ذلك من الجوراح مرفـــق كبير.ومعونة حاضرة .فى أمور يسترها الناس من بعض [٢]ويخفونـــها من الجليس وغير الجليس . ولولا الإشارة لم يتفـــاهم النـــاس معنـــى خاص الخاص .ولجهلوا هذا الباب البتة .[٣]

فحسن الإشارة باليد وغيرها من تمام حسن البيان باللسان مع الذى يكون مع الإشارة من الشكل [٤]والتفتل . والتثنى [٥]واستدعاء الشهوة . وغير ذلك من الأمور [٦].

والتجربة تؤكد ما ذهب إليه الجاحظ : فعندما تتحرك اليد منســجمة مـــع المعنـــى المراد . أو يهتز الجسم . أو الرأس . يصبح ذلك عونا

---

(١) باطلا ورديئا.
(٢) يسرها .
(٣) البيان والتبيين ج١ ،ص٧٩ .
(٤) الشكل بالكسر والفتح : دل المرأة وغنجها وغزلها .
(٥) التفتل : الاختيال والتكبر . والتثنى : التكسر فى المشي .
(٦) الجاحظ ج ١ ص ٧٩ .

على الفهم .بقدر ما يشيع من حيوية فى جو الموقف . ولا يمكن هنا وضع قواعد ضابطة .لأن الأمر متروك للفطـــرة . التـــى تســـتجيب للموقف . ثم تمتلك زمامه بالكلمة والصوت والحركة .

الخطيب الساكن :-

وبعد حديث الجاحظ عن أهمية الحركة والإشارة المناسبة للخطيب كى يكون مؤثرا فى جمهوره .وتأكيد التجارب الصحيحة لهذا الأمـــر .يتبين أن الخطيب الذى يقف جامدا ساكنا.لا يشير بيـــده أو غيرهـــا حسب انفعاله وحرارة عاطفته يشبه مذياعا يتكلم .إلا أنه لا يمكن لـــه أن يستمر على هذا السكون.

روى أبو شمر - وهو أحد أئمة القدرية المرجئة - عن معمر أبى الأشعث .[1]

خلاف القول الأول فى الإشارة والحركة عنـــد الخطبـــة .وعنـــد منازعة الرجال ومناقلة الأكفاء .

وكان أبو شمر إذا نازع لم يحرك يديه ولا منكبيـــه .ولـــم يقلـــب عينيه.ولم يحرك رأسه .حتى كأن كلامه يخرج من صدع صخرة .

وكان يقضي على صاحب الإشارة .بالافتقار إلى ذلك .

---

[1] معمر أبو الأشعث بن عباد السلمى صاحب فرقة المعمرية من المعتزلة .وكان من تلاميذ أبى الحسن المدائنى وأبى شمر .

وبالعجز عن بلوغ إرادته .

وكان يقول :ليس من المنطق أن تستعين عليه بغيره .حتى كلمه إبراهيم بن يسار النظام [١]عند أيوب بن جعفر [٢].فاضطره بالحجة وبالزيادة فى المسألة .حتى حرك يديه .وحل حبوته [٣]وحبا إليه حتى أخذ بيديه .

ففى ذلك اليوم انتقل أيوب من قول أبى شمر .إلى قول إبراهيم وكان الذى غر أبا شمر بهذا الرأي .أن أصحابه كانوا يستمعون منه. ويسلمون له. ويميلون إليه . ويقبلون كل ما يورده عليهم .ويثبته عندهم .فلما طال عليه توفيرهم له . وترك مجاذبتهم إياه .وخفت مؤنة الكلام عليه . نسى حال منازعة الأكفاء .ومجاذبة الخصوم . وكان شيخا وقورا ...وكان ذا تصرف فى العلم . ومذكورا بالفهم والحلم .[٤]

ويلاحظ أن أبا شمر خرج عما ألفه من السكون وعدم الإشارة أثناء محاجة إبراهيم النظام .لأن الحركة والإشارة من لوازم المتحدث لتجسيد ما يتحدث به .طالما يحتاج الحديث إليها .

---

[١] من كبار أئمة المعتزلة .
[٢] أيوب بن جعفر بن سليمان العباسى .كان من أعلم الناس بقريش وبالدولة وبرجال الدعوة .
[٣] حل حبوته : قام .
[٤] البيان والتبيين ج١ ص ٩١ .

ويرى بعض علماء النفس ضرورة أن يقف الخطيب فى وقار بــلا حركة تذهب بمقصود خطبته .وحجتهم فى ذلك :-
أن الخطيب إذا وقف ساكنا كانت الكلمة وحدها هى التى تؤثـــر فـــى الناس وهنا يتبين مقدار فصاحة كلمته .فإن كانت الكلمة فصيحة تؤثــو فى الناس وتدخل إلى قلوبهم .

أما إذا كانت الكلمة ضعيفة أو قليلة البيان فإن صاحبـــها يســـتعين عليها بالحركة والإشارة . وبالقيام والقعود وما إلى ذلك .

لكن علماء النفس المعاصرين فصلوا فى ذلك مؤخرا وقالوا :-
من الأفضل أن يتحرك الخطيب وذلك رعاية لأمر جوهرى أخذوه من عيون المشاهدين والمستمعين فقالوا:-

إن عيون المستمعين هى أول ما يتعلق بالخطيب قبل أن يخطب ، يعنى أول ما يقع الخطيب فى النفوس يدخل عن طريق تعلق أبصـــار الناس عندما يأتينا محاضر أو متحدث فأول ما نـــرى منـــه مظـــهره وسمته . فإذا وقف أمامنا كالجهاز الآلي لا يتحـــرك بـــدأت العيـــون تتصرف عنه وخاصة إذا درسنا أحوال الجماعات وعرفنا أن للجماعة حال تختلف عن حال الفرد .[١]
لذا كان لنكولن وهو أشهر خطباء الغرب فى العصر الحديث.

[١] الخطابة فى موكب الدعوة ص١١٥ .

غالبا ما كان يتوقف أثناء خطابه . فعندما يمـــر بفكــرة عظيمـــة يرغب فى ترسيخها بأذهان مستمعيه .

ينحنى إلى الأمام ويحدق بعيونهم مباشرة للحظة من غير أن يقـول شيئا .هذا الصمت المفاجيء له نتيجة الضجة المفاجئـــة ذاتــها فـــهى تجذب الانتباه ، وهى تجعل كل إنسان منتبه وواع لما سيتلو ذلك :

مثلا :عندما كانت مناقشات لنكولن المشهورة مع دوجلاس تشرف على الانتهاء . وعندما تشير الدلائل إلـــى هزيمتـــه .ينتابـــه الأســـى والحزن الاعتيادى القديم يعود إليه فى بعض الأوقات فتـــأتى كلماتـــه مصبوغة بالرقة.

ففى نهاية خطبه يتوقف فجأة ويقف صامتا للحظة ثم ينظر إلى الوجوه التى نصفها عدائى ، ونصفها حميم . بعينيه القلقتين العميقتين اللتيـــن كانتا تبدوان مليئتين بالدموع التى لم تنهمر ، ثم يفرد ذراعيه وكأنـــهما متعبتان من جراء قتال مميـــت ويقـــول بنبراتـــه الغريبـــة :- أيـــها الأصدقاء:هناك فرق بسيط بين انتخابى وانتخاب القاضى دوجلاس إلى مجلس الشيوخ الأمريكى .

لكن المسألة العظيمة التى قدمناها لكم اليوم هى بعيدة جـــدا عـــن المصالح الشخصية ،أو المصير السياسى لأى رجل .ويا أصدقائى ... هنا يتوقف ثانية .فيصغى الجمهور إلى كل كلمة .هذه المسألة ستعيش

وتتنفس وتخترق عندما يصوت فى القبر لســـان القضـــى دوجـــلاس ولسانى الضعيف المتعلثم .

هذه الكلمات البسيطة - كما تقول إحدى مذكراته - لمست كل قلـب فى الصميم .[١]

كان لنكولن يتوقف بعد كل جملة يريد توكيدها فكان يضيف إلـــى قوتها من خلال الصمت بينما يغوص المعنى ويؤدى رسالته .

–ودائما ما كان السير أو ليفر لودج يتوقف فى خطابه قبل وبعد كـــل فكرة مهمة .يتوقف ثلاث أو أربع مرات فى الجملة الواحدة ،لكنه كـان يفعل ذلك دون تكلف .[٢]

قال كيبلينج :–

من خلال صمتك تتكلم فالصمت ليس ذهبيا أكـــثر ممـــا يســـتخدم عندما تتكلم ، وهو أداة قوة . ومهمة لا ينبغى إغفالها ، ومع ذلك فـهى مهملة دائما من قبل الخطيب المبتدىء[٣]

والمعبر عن الكلام فى حال الصمت هى الحركات والملامح .

وعلى هذا فإن من يرى أن الخطيب يجب عليه الوقوف فى سكينة ووقـــار لأن المعول عليه هو قوة الكلمة وفصاحة العبارة ، لا الإشارة

---

(١) التأثير في الجماهير عن طريق الخطابة ،ص ١٠٢ .
(٢) السابق ص ١٠٢ .
(٣) السابق ص ١٠٢ .

والحركة .رأى بعيد عن الحقيقة والصواب فى شأن نفسية الخطيب والجمهور .

لأن الإشارة والحركة تنبع من انفعال الخطيب بموضوعه .

وقد انتقد الأستاذ محمد زكى عبد القادر [١]فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى فى كثرة إشاراته ونصحه أن يقلل منها ، ولم يكد هذا الرأى ينشر فى صحيفة الأخبار حتى انهالت عليه الرسائل ترد عليه نقدا وتفنيدا فى غضبة تعكس الذوق المصرى الحقيقى والذى يضيق ذرعا بالتكلف ، لأن إشارات الشيخ محمد الشعراوى إنما هى تعبير حقيقى عن معانى يتمثلها وينفعل بها ولا تتم فائدة الكلام إلا بها .

والحق أن الشيخ الشعراوى فى اتجاهه ونظرات عينيه وحركات يديه و جسمه .. تثير ما قد يكون كامنا فى كيان المستمع ليتلقى عنه بكل طاقة الإدراك ،ولو ألقى الشيخ حديثه في سكينة لبقيت فى حديثه جوانب دقيقة لا تتكشف خفاياها ، ويبقى المستمع فى حاجة إلى الإشارة المضيئة ،ويكفى ملاحظة أهمية الإشارة أن الشيخ الشعراوى أحيانا يواصل حديثه..ثم لا يسعفه لسانه بالكلمة فى نهايةالمقطع فتتولى

---

[١] كان علىمدى خمسين عاما واحدا من أبرز أعلام الفكر والصحافة حيث تولى رئاسة تحرير جريدة الأهرام ,ثم الأخبار منذ بدء صدورها سنة ١٩٥٢ م. وله عمود يومى بعنوان ـ نحو النور ـ حتى وفاته فى ١٩٨٢/٣/٧ م كما كان عضوا بالمجمع اللغوي .

إشارة يده وإيماءة رأسه .. إتمام الحديث .[١]

متي تكون الإشارة مفيدة ؟

لكي تكون الإشارة مفيدة ومؤثرة يجب أن يراعى الخطيب عدة أمـور لا غنى له عنها :

١- يجب أن يراعى الخطيب أن كثرة الإشارة باليد خطل وصرف للسامع عن الانتباه والتركيز ، فعلى الخطيب أن يقلل منها إلا فى محلها.

٢- أن يأتى الخطيب بالإشارة فى موضعها الملائم لها المحتاج إليها.

٣- أن يجعل الخطيب الإشارة موافقة للمعنى ، وسابقة له فيشير ثم ينطق ، وإذا اجتمعت فى الجملة صفتان جعل الإشارة للأخيرة كما لو قال : الصهيونيون نعام لن يقوا على نضال العرب الأبطال الأسود ،فيجعل إشارته على الصفة الأخيرة فى هذه الجملة .

٤- ألا يحجب الخطيب وجهـه بيـده عن الناظرين ، أو يعترض بإشارته جسمه ، وأن تكون إشارته سريعة بيده إن كان الكلام حادا لتطابق العاطفة ، وأن يستعمل يده اليمنى إذا كانت رجله اليمنى إلى الأمام والعكس كذلك .

٥- أن يتذكر الخطيب أن بعض الموضوعات لا تحتاج إلى افتنان فى الإلقاء كالمناسبات الصغيرة .

---

[١] الخطابة فى موكب الدعوة ص ١١٢، ١١٣ .

٦- أن يكون الإلقاء والتعبير موافقين لدرجة تأثره ،فإذا لم يكن انفعاله قويا فليتكلم كما يحس .[١]

من عيوب الإشارة :-

هناك أمور تجعل الإشارة عيبا يجب علـــى الخطيـــب أن يتخلـــى عنه.لأنها حينئذ تقلل من قدره وتضعف شأنه وتذهب بهيبته وتـــأثيره في جمهوره.

ومن أهم هذه الأمور ما يلى [٢]:-

١- ضعف الإشارة وذلك عندما تاتى مع المعنى ولاتدعمه .

٢- إبهام الإشارة وذلك عندمـــا يحتـــد الخطيب أو ينفعل بلا سبب أومبرر أو عندما تكون الإشارة غير مطابقة للمعنى .

٣- المبالغة والإفراط بغير حساب فى الإشارة ، فإذا لم تكن الإشارة على المستوى المطلوب توافقا وانسجاما لم تحقق هدفها ،وحينئذ فلا يلومن الخطيب إلا نفسه .لأنه فى هذه الحال يكون كرجل يكثر الإشارة فى الظلمة ثم يتعجب كيف لا يراه الناس .

---

(١) فن الخطابة للحوفى ص ٣٠ .

(٢) الخطابة فى موكب الدعوة ص ١١٠ .

ثامنا: حسن الهيئة والمنظر

أهميته للخطيب :-

من المقومات الأساسية للخطيب . وعوامل نجاحه وتـــأثيره فـــى جمهوره .حسن هيئته .وجمال منظره .وتنسيق هندامه .وتناسق زيـــه وملبسه .لأن كل ذلك له أكبر الأثر في نفسية مستمعيه .

كما أن هذه الأمور تطبع فى نفسية الخطيب الثقة بنفسه .وهو مـــا يجعل الخطيب محل ثقة وتقدير الجمهور .

إذ هو قائد الجماعة .ولسان حالها .وقدوتها .

فعليه أن يتصف بكل صفة حميدة .ويمتثل لكل أمر فى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.فإذا كان الله تعالى يأمر بالتزين عند كل مسـجد فى قوله سبحانه ((**يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد**))[١]

أى عند كل صلاة .فينبغى للخطيب أن يأخذ زينته عند كل خطبة .

فيكون نظيف الثياب فى غير تكلف .مهذب الرأس فى غير تصنع .

طيب الرائحة فى غير إسراف .جميل اللبس فى غير تبهرج .مـــهيب المنظر من غير تكبر .

وليس من شيم الخطيب الكبر أو الخيلاء .بل من شيمه أن يكـــون جميلا وأن يكون جليلا.[٢]

---

[١] سورة الأعراف من الآية :٣١ .

[٢] الدعوة والخطابة ص١٤ .

تأثير حسن الهيئة على الخطيب والمستمع:-

لاشك فى أن هيئة الخطيب وزيه أو لبسه ومنظره .من أهم مقومات نجاحه وتأثيره فى جمهوره .لذا فقد أرسل عالم نفسانى كبير سؤالا إلى مجموعة كبيرة من الناس .
سألهم فيه عن تأثير الملابس فيهم ؟

فشهد جميعهم - دون استثناء -بأنهم حين يكونون فى أبهى صورة وزينة .وأجمل ملبس .ويعرفون ذلك ويحسونه .فإنهم يملكون زمام أنفسهم ولا يخطئون .

وبالرغم من غموض هذا الشعور .وصعوبة شرحه .إلا أنه حقيقة . لا مراء فيها .تمنحهم الثقة والإيمان بالنفس .وترفع من قدرهم أمام أعينهم.

وقد أعلنوا أنهم حين بدوا فى هذا المظهر كان من اليسير عليهم التفكير بنجاح .[1]

هذا هو تأثير الملابس على مرتديها .فماذا كان تأثيرها على المستمع؟!!

يجيب على هذا العالم النفسانى قائلا:
لقد لاحظت مرات ومرات أنه إذا كان الخطيب لايهتم بلبسه ومظهره

---

[1] التأثير فى الجماهير عن طريق الخطابة ص١٠٧-١٠٨ .

فإن المستمعين لايحملون من الاحترام لهذا الخطيب شيئا إلا بقدر ما يحمل هو لمظهره .[١]

وكما قيل : إن العدوى تنتقل بسرعة من المتحدث إلى المستمع .

فإن كان طيبا لائقا مبتسما مسرورا بوجود المستمعين يسرون هم بوجوده بينهم فيستمعون إليه باهتمام .[٢]

لذا كان من هدى سلفنا الصالح فى حضورهم لمجالس العلم :

التطهر والتنظف والتطيب ولبس أحسن الثياب اللائقة بهم بين أهل زمانهم .يقصدون بذلك تعظيم العلم . ورفع قدر العلماء .

قال مطرف بن عبد الله بن الشخير :كان الإمام مالك بن أنس إذا أتاه الناس .خرجت لهم جارية تقول لهم :الشيخ يقول لكم تريدون الحديث أو المسائل ؟فإن قالوا المسائل خرج إليهم فأفتاهم .وإن قالوا الحديث . دخل فاغتسل وتطيب .ولبس ثيابا جددا وتعمم .ووضع على رأسه طيلسانا وسرح لحيته .ويوضع العود فلا يزال يبخر حتى يفرغ من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .ثم توضع له منصة .يجلس عليها....[٣]

---

(١) السابق ص١٠٨ .

(٢) الدعوة المؤثرة :جمال ماضى ص٨٤ ط ١ ١٤١٥ هـ-١٩٩٥م .دار الوفاء بالمنصورة .

(٣) إمام دار الهجرة مالك بن أنس :محمد بن علوى بن عباس المالكى الحسنى ص٦٤ ط مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف. ١٤٠١ هـ١٩٨١ م.

وللخطباء القدوة والمثل الأعلى فى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حسن هيئته ومظهره .حيث كان يلبس الجديد . وينـــوع الألـــوان ويهتم بهندامه صلى الله عليه وسلم .

عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال :{كان رسول الله صلــى الله عليه وسلم مربوعا - ليس بالقصير ولا بالطويل .وكان إلى الطول أقرب- وقد رأيته فى حلة حمراء .ما رأيت شيئا قط أحسن منه }[١].

وعن أبي رمثة رفاعة التميمي رضي الله عنه . قــال :-" رأيــت رسول الله ﷺ عليه ثوبان أخضران " [٢]

ويضرب ديل كارينجي مثالا يبين فيه مدي تأثير اللبس والمظــهر في النفس . وفي الآخرين . قائلا :-

حينما قدم جنرال - لي - إلي أبو ماتكس كورت هاوس . ليســلم جيشه كان في أبهي زينته . ومرتديا حلة عسكرية جديدة يتدلي منـــها سيف ثمين .

في حين أن - جرانت - لم يكن في زيه العســـكري . وبـــدون سيف . وكان يرتدي قميصا . وسروال جندي بسيط .

وقد كتب - جرانت - في مذكراته قائلا :-

لاشك أنني كنت أبدو متناقضا تماما وغريبا بالقياس إلـــي رجل علي

---

[١] متفق عليه .

[٢] رواه الترمذي .

تلك الدرجة من الوسامة والأناقة ...

وقد سبب له عدم ارتدائه لزيه اللائق به في هذه المناسبة التاريخية حزنا حقيقيا طوال حياته .[١]

ثم يقول :- تملك مصلحة الزراعة في - واشنجتن - عدة مئلت من خلايا النحل في مزرعتها التجريبية .

وكل خلية فيها عدسة مكبرة . يمكن إضاءتها من الداخل بالكهرباء في أي لحظة من الليل أو النهار . بحيث يمكن فحص مجموعات النحل فحصا دقيقا .

وما أشبه الخطيب بذلك !! .

فهو تحت المجهر . وفي مسقط الضوء . كل الأعين مركزة عليه. فأي اختلال في مظهره الشخصي يبدو كبيرا . حتي قبل أن يتحدث !! فهو يذم . أو يلقي قبولا .[٢] ولذلك :-

كان زعماء المسلمين وخطباؤهم يعنون كل العناية بزيهم ومظهرهم الخاص بكل فئة . وخاصة لبس العمامة إذا صعدوا المنبر خطباء . اقتداء بهدي النبي ﷺ في لبس العمامة .

عن أبي سعيد عمرو بن حريث رضي الله عنه قال : كأني أنظر

---

[١] السابق ص ١٠٨ .

[٢] التأثير في الجماهير عن طريق الخطابة ص : ١٠٨- ١٠٩ .

إلي رسول الله ﷺ وعليه عمامة سوداء قد أرخـــي طرفيــها بيــن كتفيه.[١]

وفي رواية له أيضا :

أن رسول الله ﷺ خطب الناس وعليه عمامة سوداء .

ويصف الجاحظ مدي التزام الناس بمختلف فئاتهم بلبس العمامــة في ظل الدولة الإسلامية قائلا في بيانه وتبيينه :-

للخلفاء عمة .وللفقهاء عمة. وللبغالين عمة . وللأتـــراك عمـــة . وللصوص عمة . وللأبناء عمة وللروم والنصاري عمة . ولأصحـاب التشاجي عمة .

ولكل قوم زي فللقضاة زي . ولأصحاب القضاة زي . وللشـــرط زي . وللكتاب زي . ولكتاب الجند زي . وكان لحرائر النســاء زي. ولكل مملوك زي . ولذوات الرايات زي .

وكانت الشعراء تلبس الوشي والمقطعات والأردية السود . وكـــل ثوب مشهر .[٢]

والتزام الخطباء المسلمين وزعمائهم العمامة أثناء الخطبة . يـــدل علي فخامة الخطيب وعظمته . واهتمامه بهيئته وزيه .

ونري أن ذلك أجزل وأكمل . ولذلك وضعت ملوك العجم علي

(١) رواه مسلم .
(٢) البيان والتبيين ج ١ ص ١١٢ .

رؤوسها التيجان . وجلست علي الأسرة . وظاهرت بين الفرش .

حتي قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه :-

العمائم تيجان العرب .

وقيل لأعرابي : إنك لتكثر لبس العمامة ؟

قال :- إن شيئا فيه السمع والبصر لجدير أن يوقي من القر .

وذكرت العمامة عند أبي الأسود الدؤلي فقال :-

جنة في الحرب ومكنة في الحر . ومدفأة في القر . ووقار في الندي .[١] وواقية من الأحداث . وزيادة في القامة . وهي تعد عادة من عادات العرب .

وقال عمرو بن امرىء القيس :-

يامال والسيد المعمم قد .:. يبطره بعد رأيه السرف[٢]

نحن بما عندنا وأنت بما عند .:. ك راض والرأي مختلف [٣]

وربما جعلوا العمامة لواء . ألا تري أن الأحنف بن قيس .[٤] يوم

---

(١) الندي : مجلس القوم .

(٢) يا مال : ترخيم يا مالك .

(٣) الجاحظ ج ٣ ص ١٠٠ .

(٤) أبو بحر . وأمه هي حبة بنت عمرو بن قرط بن ثعلبة الباهلية .

مسعود بن عمرو [١] حين عقد لعبس بن طلق اللواء إنما نزع عمامته من رأسه فعقدها له .[٢]

وكان علي لابس العمامة أن يراعي كرامتها وحرمتها . كما قـــال الشاعر :-

إذا المرء أثري ثم قـــال لقومه   أنا السيد المفضي إليه المعمم
ولم يعطهم شيئا أبوا أن يسودوه   وهان عليهم رغمه وهو ألوم [٣]

وقال آخر :

إذا كشف اليوم العماس من أسته .:.   فلا يرتدي مثلي ولا يتعمم[٤]

وفي العصر الحديث يحرص أرباب كل مهنـــة علـــي لبـــس زي خاص بهم ليتميزوا به عن غيرهم .

---

(١) هو مسعود بن عمرو العتكي بن عدي بن محارب بن صنيم بن مليح بن شرطان بن معن بن مالك الذي يقال له : قمر العراق . قتله بنوا تميم . كان سيد الأزد وهو الذي أجار عبيد الله بن زياد أيام الفتنة . أخو المهلب بن أبي صفرة لأمه . وسبب تسمية اليوم باسم مسعود : هيجان الشر بين بني تميم بزعامة الأحنف وبين الأزد بزعامة مسعود بن عمرو . وقد أراد الأحنف أن يعقد القيادة لعباد بن حصين . فلما لم يجده . عقدها لعبس بن طلق بن ربيعة بن عامر بن بسطام فانتزع معجرا في رأسه . ثم جثا علي ركبتيه فعقده في رمح ثم دفعه إليـه . فقال : سر وكان الأزد وحلفاؤهم من ربيعة قد أخذوا بأفواه سكك البصرة . ثم أجلوا عنهـا وقاموا علي باب المسجد ودلفت التميمية إليهم فدخلوا المسجد ومسعود يخطب علـي المنبر ويحضض فأنزلوه وقتلوه في شوال ٦٤ هجرية .

(٢) الجاحظ ج٣ ص ١٠٦ .

(٣) الرغم : هو الذل . وألوم أي هو حقيق بأن يلام .

(٤) العماس : أي الشديد .

فمعظم القضاة في أنحاء العالم يلبسون الأوشحة . والمحامون يحرصون علي لبس الدثار الخاص بهم - الروب - وكذلك أساتذة الجامعة يلبسون الأردية الخاصة بهم في المناسبات الهامة .

ويحرص زعماء كل دين علي التميز بلباس خاص يميزهم عن بقية الجماهير .[١]

لكل هذا أصبح من الضروري علي الخطيب أن يكون له زي خاص به حسن المنظر جميل الهيئة . نظيف الثياب . مميز اللبس .

ليجذب أنظار جمهوره . ويستميل مشاعرهم . وينفذ إلي قلوبهم . ويثير حافظتهم .

أما إذا أهمل الخطيب في زيه ومظهره العام . وبدا أمام الناس دميما رث الثياب . قبيح الصورة . فسرعان ما ينفر منه الجمهور . وينصرفوا عنه . حتي لا يكون لكلامه أي أثر يذكر .

ومما يروي في هذا :-

خرج ذوالنورين عثمان بن عفان رضي الله تعالي عنه من داره يوما. وقد جاءه عامر بن عبد القيس [٢] فقعد في دهليزه . فلما رأي شيخا

---

[١] الدعوة والخطابة ص ٣٧ .

[٢] هو عامر بن عبد قيس بن ثابت التميمي . ويقال له أيضا عامر بن عبد الله . تابعي ثقة من كبار التابعين وعبادهم . وكان غاية في الزهد روي عنه في ذلك روايات تدخل في حد المبالغة - الجاحظ ج١ ص ٨٣ .

دميما ... في عباءة أنكر مكانه . فقال ياأعرابي أين ربك ؟

قال : بالمرصاد .

يقال : إن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه . لم يفحمه أحد قط غير عامر بن عبد قيس .[١]

وكان الرمق بن زيد[٢]. مدح أبا جبيلة الغساني[٣]. وكان الرمق دميما قصيرا . فلما أنشده وحاوره . قال : عسل طيب في ظرف سوء[٤].

وروي الجاحظ أن أبا وائلة إياس بن معاوية المزني القاضي القائف وصاحب الزكن [٥] والمعروف بجودة الفراسة[٦] وبكثرة كلامه.

---

[١] البيان والتبيين ج١ ص ٢٣٦ _ ٢٣٧ .

[٢] هو الرمق بن زيد بن غنيم الشاعر _ جاهلي _ والرمق معروف، . وهو باقي النفس . وهو لقب له . واسمه عبيد بن سالم بن مالك .

[٣] أبو جبيلة الغساني هو أحد ملوك الغساسنة بالشام . وفي ملوكهم : جبلة بن الأبهم الغساني آخر ملوك الغساسنة . وكان الرمق قد مدح أبا جبيلة بشعر قال فيه :-

وأبو جبيلة خير من ... يمشي وأوفاهم يمينا

وأبره برا وأعـ ... ـلمه بعلم الأولينا

[٤] البيان والتبيين ج١ ص ٢٣٨ .

[٥] صاحب الزكن : هو صاحب الفطنة .

[٦] هو إياس بن معاوية بن قرة المزني من مزينة مضر ولاه عمر بن عبد العزيز قضاء البصرة. وكان صادق الظن لطيفا في الأمور . وكان لأم ولد . ومنزله عند السبي . ومات بها سنة ١٢٢ هجرية .

قال له عبد الله بن شبرمة [١]:

أنا وأنت لا نتفق . أنت لا تشتهي أن تسكت . وأنا لا أشتهي أن أسمع . وأتي حلقة من حلق قريش في مسجد دمشق فاستولي علي المجلس .

ورأوه أحمر دميما . باذ الهيئة قشيفا فاستهانوا به . فلما عرفوه اعتذروا إليه . وقالوا : الذنب مقسوم بيننا وبينك . أتيتنا في زي مسكين تكلمنا بكلام الملوك [٢].

وقد يعتمد بعض الخطباء علي شهرتهم . وبيان منطقهم .وفصاحة لسانهم . فلا يهتمون بمظهرهم وهيئتهم . ويرون أن تأثير الخطيب بشخصه وعلمه . لا بمظهره وزيه .

وهذا إن كان فيه بعض الحق والصواب . إلا أن شأن هذا الخطيب . شأن الدرة النفيسة . الملفوفة في خرقة بالية . لاتستميل الناظر . ولا يلقي لها بالا .

كما أن الخطيب غالبا ما يكون مجهولا لبعض المستمعين . فيكون مخطئا إن لم يهتم بهندامه ومظهره .

---

[١] هو عبد الله بن شبرمة بن حسان الضبي وأبو شبرمة الكوفي القاضي . ولاه أبو جعفر المنصور قضاء الكوفة ولد سنة ٧٢ هجرية ومات سنة ١٤٤ هجرية - الجاحظ ج ١ ص٩٨ .

[٢] البيان والتبيين ج ١ ص ٩٨ .

ومما يروي في هذا :- أن معاوية بن أبي سفيان رضي الله تعالي عنهما . نظر إلي النخار بن أوس العذري الخطيب الناسب[١] في عباءة في ناحية من مجلسه . فأنكره وأنكر مكانه. زراية منه عليه ..

فقال : من هذا ؟ فقال النخار ياأمير المؤمنين : إن العباءة لا تكلمك . إنما يكلمك من فيها [٢].

ولما قال أحد علماء الهند : جماع البلاغة . التماس حسن الموقع . والمعرفة بساعات القول . وقلة الخرق [٣] بما التبس من المعاني . أو غمض . وبما شرد عليك من اللفظ أو تعذر .

ثم قال : وزين ذلك كله وبهاؤه . وحلاوته وسناؤه . أن تكون الشمائل موزونة . والألفاظ معدلة . واللهجة نقية . فإن جامع ذلك السن والسمت والجمال . وطول الصمت . فقد تم كل التمام . وكمل كل الكمال [٤].

خالف عليه سهل بن هارون[٥] وكان سهل في نفسه عتيق الوجه .

---

(١) هو أنسب العرب وسمي بالنخار لأنه حمي في الكلام فنخر ـ الجاحظ ج ١ ص ٢٥ .
(٢) البيان والتبيين ج ١ ص٢٣٧ .
(٣) الخرق بالتحريك : الدهشة والحيرة .
(٤) البيان والتبيين ج ١ ص ٨٩ .
(٥) سهل بن هارون كان متحققا بالمأمون وصاحب بيت الحكمة وهو فارسي الأصل شعوبي المذهب . شديد العصبية علي العرب - الجاحظ ج ١ ص٥٢ .

وحسن الإشارة . بعيدا من القدامة[١]. معتدل القامة . مقبول الصورة . يقضي له بالحكمة قبل الخبرة . وبرقة الذهن قبل المخاطبة . وبدقة المذهب قبل الامتحان . وبالنبل قبل التكشف . فلم يمنعه ذلك أن يقول ما هو الحق عنده . وإن أدخل ذلك علي حاله النقص .

قال سهل بن هارون : لو أن رجلين خطبا أو تحدثا أو احتجا أو صفا. وكان أحدهما : جميلا جليلا . ولباسا نبيلا . ذا حسب شريفا . وكان الآخر : قليلا قميئا[٢] وباذ الهيئة[٣] دميما [٤] وخامل الذكر مجهولا . ثم كان كلاهما في مقدار واحد من البلاغة . وفي وزن واحد من الصواب . لتصدع عنهما الجمع . وعامتهم تقضي للقليل الدميم . علي النبيل الجسيم ولباذ الهيئة . علي ذي الهيئة . ولشغلهم التعجب منه علي مساواة صاحبه . ولصار التعجب منه سببا للعجب به . ولكان الإكثار من شأنه علة للإكثار في مدحه . لأن النفوس كانت له أحقر .

ومن بيانه أيئس . ومن حسده أبعد . فإذا هجموا منه علي ما لم يحتسبوه .وظهر منه خلاف ما قدروه تضاعف حسن كلامه في

---

(١) أي بعيد عن العي والثقل .
(٢) قميئا : ذليلا صغيرا .
(٣) باذ : رث .
(٤) دميما : قبيحا ذميما

صدورهم وكبر في عيونهم . لأن الشيء من غير معدنـــه أغــرب . وكلما كان أغرب . كان أبعد في الوهم . وكلما كان أبعد في الوهــم . كان أظرف . وكلما كان أظرف . كان أعجب . وكلما كـــان أعجــب كان أبدع وإنما ذلك كنوادر كلام الصبيان . وملح المجـــانين ..فـــإن ضحك السامعين من ذلك أشد . وتعجبهم به أكثر . والناس مولعـــون بتعظيم الغريب . واستطراف البديع . وليس لهم في الموجود الراهــن المقيم . وفيما تحت قدرتهم . من الرأي والهوي . مثل الذي معهم فــي الغريب القليل . وفي النادر الشاذ . وكل ما كان في ملك غيرهم .

وعلي ذلك زهد الجيران في عالمهم . والأصحاب في الفائدة مــن صاحبهم . وعلي هذه السبيل يستطرفون القادم عليهم . ويرحلون إلــي النازح عنهم ويتركون من هو أعم نفعا . وأكثر فـــي وجــوه العلــم تصرفا.وأخف مؤنة . وأكثر فائدة [١] .

والواضح من كلام سهل بن هارون هنا . أن الجمع أو الجمـــهور يقضي لرث الثياب قبيح المظهر . علي جميل الهندام . بهي المظهر . إذا تساويا في البلاغة .

وهذا رأي شخصي عماده الفرض والقياس . بعيد كل البعد عـــن الواقـــع الشـــائع بين الناس . ومن دراسة نفسية الجماهير . ولذا قال

---

[١] البيان والتبيين ج١ ص ٥٠ .

- بسكال - بضرورة لبس الجبة والشعر للقضاء . ولولاهما لفقــدوا ثلاثة أرباع نفوذهم [١] فالواجب علي الخطيب أن يكون وجيــها كــي يوقره الكبير ويهابه الصغير . ويأخذ كلامه الطريق إلي القلوب .

ونعني بالوجاهة ألا يكلف العالم نفسه في مظهره . أو سيرته . بل يتحفظ ويجعل هيئته مقبولة بين الناس .

قال رجل لعبد الله بن عمر : ما ألبس ؟

قال : البس ما لايعيبك عليه العلماء . ولا يزدريك فيه السفهاء .

أي أن ملابس الخطيب يجب أن تكون بحيث لا يحتقره الرعـــاع فيها . ولا يظن غيرها أنه يتكلف في تجمله وزينته.

ومن كلام الإمام عبد الرحمن بن الجوزي :-

علي أهل العلم . أن يظهروا مروآتهم في ثيابهم . إكراما للعلــم . وإجلالا له [٢]

ولقد كان علماء الإسلام يحرصون كل الحرص . علـــي الــزي الخاص بهم . ولكن معظمهم انصرف عن هذا الزي الكريم . وتــرك السنة الشريفة التي كان العلماء يلتزمونها .

مع أنــه قد تحلي بالزي الإسلامي جماعة من الدجالين والمشعوذين

---

[١] الدعوة والخطابة ص ٣٧ ، وفن الخطابة للحوفي ص ٣٥ .

[٢] محاضرات في علم الخطابة النظرية والعملية : د. محمد شامة ص ١٢٥ - ١٢٦ .

الذين لا يفقهون الدين وأحكامه . ولم يراعوا قداسة هذا الزي . ولـــم يحافظوا علي كرامته .

ومن الأفضل للخطباء المسلمين أن يلتزموا بهذا الزي . ويتمسكوا به . ويراعوا كرامته . لتعود للخطيب هيبته وتأثيره في مستمعيه .

كما أنه من الضروري بمكان أن يصدر قرار يمنع ارتـــداء هـــذا الزي علي غير العلماء المتخصصين . كما يفعل أصحاب كل زي . وخاصة رجال الدين غير الإسلامي .

تاسعا ـ الدراية بنفسية المستمعين

لابد للخطيب كي ينجح في مهنته من دراسة لنفسية السامعين . لأن الخطيب إنسان يتعامل مع إنسان مثله له مشاعر وأحاسيس ولـــه اتجاهات عقلية وفكرية ونفسية وعاطفية . وليست كلها علـــي نمـــط واحد. بل هي مستويات متعددة متنوعة بل متباينة أو مختلفة .

والمطلوب من الخطيب أن يجمع كل هذه المستويات الفكرية علـــي كلمة سواء مع رضاهم جميعا عنه . وعن منهجه .

ولا يتأتي هذا للخطيب إلا إذا عرف الفروق الفردية بيـــن النـــاس وما للنفوس من أنواع خيرة أو شريرة . سوية أو معوجة . وما لكـــل نوع من الصفات الجوهرية والعرضية فيه .

وما يناسب كلا منها من أساليب الخطابة والإلقاء .

كل هذا : من أجل أن يوائم الخطيب بين كلامه وحال جمهوره .
وإذا توافرت للخطيب هذه المبادىء . كان خطيبا ناجحا فاهما لرسالته . مصرا علي تبليغها بما يناسبها من أساليب يخاطب بها جمهوره عـن وعي ودراية بحقيقتهم النفسية والعاطفية والعقلية .

وهذا يعني :

أن يلم الخطيب بطرف من العلوم الإنسانية التي تعينه علي امتلاك زمام الإنسان من الداخل .

إن القائد العسكري لكي ينتصر في معركة . لابد له مـن معرفـة طبيعة الميدان وخطط العدو وموقع قواته ... فإن ذلك يعينه علـي تحقيق النصر المأمول .

كذلك الخطيب أو الداعية : ينبغي أن يسلط الأضواء علي فطـرة النفس . وسنن الله في الإجتماع . ليحسن التعامل مع الفرد والجماعـة والمجتمع . كما ينبغي أن يكون علي شيء مـن قواعـد المنطـق . وصولا إلي عقل المستمع وقيادته إلي مرفأ اليقين .

ولأن الناس أشتات وألوان ... فمن المفيد أن نتابع هذه الألـوان بما يشاكلها من فنون القول .

ودور الخطيب هنا : شبيه بدور الفقيه :

فيلزم الفقيه أن يعرف الواجب والواقع ... ليحسن تطبيق الواجب

علي الواقع .

والمراد بالواجب : أحكام الشريعة الواجب عليه استخدامها .

والمراد بالواقع : أحوال الناس الواقعية .

ولا تتكشف للمجتهد أحوال الناس الواقعية . وتحديد مشكلاتهم بصورة حقيقية . إلا عن طريق العلم بأنواع القوانين التي تضمنت بيانها تلك العلوم التي تعتبر الأصل لغيرها من العلوم الإنسانية ذات المساس بالفقه في كشف المنظور الحقيقي للفرد والمجتمع.

والعلوم الثلاثة هي :

علم النفس والاجتماع والاقتصاد[١] .

أما علم النفس :

فهو العلم الباحث عن قوي النفس وخواطرها وميولها وتصرفها في علمها . وتأثير علومها في أعمالها الإرادية .

مثال ذلك :-

الأصل أن يكون العمل تابعا للعلم . ولكن كثيرا يعتقدون أن عمل كذا . ضار ويأتونه . وعمل كذا نافع . ولا يأتونه . والمحرم شرعا كله ضار . والحلال كله نافع . فما سبب مخالفة عملهم لعلمهم ؟!

وهل يحسن دعوة هؤلاء إلي الخير وإقناعهم بترك الشرر من لايعرف

---

(١) **الخطابة في موكب الدعوة ص ٢٢٨ .**

لماذا تركوا الخير وارتكبوا الشر ؟ .
هذه المعرفة هي من علم النفس الذي يؤخذ منه أن من العلم ما يكـون ملكة راسخة للنفس . حاكمة علي إرادتها . مصرفة لها في أعمالها . ومنه ما يكون صورة تعرض للذهن . لا أثر لها في الإرادة فلا تبعث علي العمل وإنما يكون مظهره القول أحيانا .

وقد كان الصحابة وتابعوهم بإحسان رضوان الله عليهم أجمعيـن علي حظ عظيم من هذا العلم فإنهم كانوا بسلامة فطرتـهم . وذكـاء قريحتهم . وبما هداهم القرآن بآياته . والرسول ﷺ . ببيانه وسـيرته : علي بصيرة من علم النفس وإن لم يتدارسوه بطريقة صناعية . فقـد كان علمهم به علم الواضعين له أو أرسخ . يدل علي هذا مـا يؤثـر عنهم من الحكم وما نجحوا به في الدعوة . وظهروا به فـي مواطـن الحجة [1]وذلك فضل الله

﴿ يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾[2]

وأما علم الاجتماع فهو ضروري جدا للخطيب . إذ تبـدأ مهمـة الخطيب بتشخيص العلة . ثم وصف الدواء بالأمر بالمعروف والنـهي عن المنكر .

---
[1] تفسير المنار ج ٤ ص ٣٢ وهداية المرشدين ص ١٠١ .
[2] سورة الحديد من الآية ٢١ .

ومعرفته بحال المجتمعات وسنن الله تعالي فيها : تعينه علـــي آداء مهمته والنفاذ إلى قلوب جمهوره .

وقد حدث أن وصلت كراهية الأمريكان لليهود حدا كبيرا فكـــانوا يكتبون علي واجهة المطاعم : غير مسموح للكلاب ولليهود !!

فماذا حدث بعد ذلك ؟ .

درس اليهود النفسية الأمريكية . وأعانتهم الدراسة علي التعامل معـــهم في ضوء معرفتهم بأحوالهم [١] .

فلا بد إذا للخطيب من :-

العلم بحال من يوجه إليهم الدعوة في شئونهم واســـتعدادهم وطبـــائع بلادهم . وأخلاقهم أو ما يعبر عنه في العرف : بحالتهم الاجتماعية .

وقد روي أن من أسباب ارتضاء الصحابة خلافة أبي بكر : كونـــه أنسب العرب . ومعناه أنه كان أعلمهم بأحوال قبائل العرب . وبطونها وتاريخ كل قبيلة وسابق أيامها وأخلاقها :-

كالشجاعة والجبن والأمانة والخيانة ومكانها من الضعف والقوة والفقر والغني وما كان إقدامه – مع ما عرف به من اللين وسهولة الخلـــق – علي قتال أهل الردة إلا لهذا العلم الذي كان به علي بصيرة. فلم يـــهب ولم يخف .

---

[١] الخطابة في موكب الدعوة ص ٢٣٤ .

وقد خاف عمر - مع شدته المعروفة علي الكافرين والمنافقين- أن تضعف شوكة الإسلام بمحاربتهم حتي قال أبو بكر : والله لو منعوني عقالا مما كانوا يؤدونه إلي رسول الله ﷺ . لقاتلتهم عليه . فهذه قوة العلم لا قوة الجهل [١].

فلا بد إذا للداعية أو الخطيب من العلم بحال جمهوره من جميع الأمور التي تحيط بهذا الجمهور ماديا ومعنويا .

ليعرف حقيقة روح هذا الجمهور وعقليته . ويقف علي أحوال النفوس وعواطفها .

ويعلم ما يثير هذا المجتمع أو يهدئه . وما يرضيه أو يغضبه وأي الأساليب ملائم له ؟

أهو أسلوب البسط والإطناب ؟ أم أسلوب الإيجاز والإشارة والاقتضاب ؟ .

والخطيب الناجح من امتزجت روحه بروح السامعين فكأنهما سلكين كهربيين سالب وموجب يلتقيان فيشع منهما ضوء وحرارة [٢] وبدون هذا الأسلوب لا يستطيع الخطيب أنّ يفهم نفسية السامعين . وهذا يعود عليه بضرر كبير .

---

(١) هداية المرشدين ص ١٠٠ .
(٢) فن الخطابة : الحوفي ص ٢٠ .

لأنه حينئذ :

من ناحية : لايعرف ما يجب أن يقدمه لهم من نصائح وعظات . إذ لكل جماعة حاجة إلي نصائح خاصة .

ومن ناحية أخري : لايعرف أسباب الانحراف التي تطرأ علي سلوكهم ولا كيف يكون علاجها والطب لها [١]

فلا بد للخطيب إذا من دراية تامة بنفسية مجتمعه أو جمهوره . ليشوقهم دائما حتي لا يملوا . فإن أحس من نظراتهم فتورا . أو من حركاتهم مللا. أو انصرافا شوقهم بفكاهة مناسبة أو قصة طريفة ملائمة أو عبارات ملهبة .

لأنهم إن ملوا انصرفوا عنه وصار يخطب لنفسه .

ولذا كان مطرف بن عبد الله يقول : لا تطعم طعامك من لا يشتهيه ولا تقبل بحديثك علي منّ لايقبل عليك بوجهه .

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله تعالي عنه :- حدث الناس ما حدجوك بأسماعهم ولحظوك بأبصارهم. فإذا رأيت منهم فترة فأمسك .

وجعل ابن السماك[٢] يوما يتكلم وجارية له حيث تسمع كلامه .

---

[١] الخطابة وإعداد الخطيب ص ٤٠ .

[٢] هو أبو العباس محمد بن صبيح مولي بن عجل المعروف بابن السماك . سمع هشام بن عروة والعوام بن حوشب وسفيان الثوري وروي عنه الحسين الجعفي وأحمد بن حنبل وهو كوفي قدم بغداد زمن هارون الرشيد وكان يبكي هارون الرشيد من قوة موعظته ومكث ببغداد مدة ثم رجع إلي الكوفة فمات بها سنة ١٨٣ - راجع الجاحظ ج١ ص ١٠٤ .

فلما انصرف إليها .

قال لها : كيف سمعت كلامي ؟

قالت : ما أحسنه ! . لولا أنك تكثر ترداده !!! .

قال :- اردده حتي يفهمه من لم يفهمه .

قالت : إلي أن يفهمه من لم يفهمه . قد مله من فهمه .

وقال بعض الحكماء :-

من لم ينشط لحديثك .فارفع عنه مؤنة الاستماع منك [١]

ولايستطيع الخطيب التمكن من معرفة نشاط السامعين أو مللـهم إلا إذا كان علي دراية تامة ودراسة مستفيضة لنفسية المستمعين .

وذلك يكون أولا . بدراسة علم النفس والاجتماع البشري .

عاشرا : القدوة

إن القدوة في الخطيب أمر ضروري . ليكون له تأثير في جمهوره ومستمعيه فلا يأتي التأثير إلا بعد التأثر ولا يـأتي الإقنـاع إلا بعـد الاقتناع .

فالخطيب خطيب بحاله ومقاله بهيئته وكلامة وسمته وسلوكه فـلا يكذب حاله ولا يخالف فعله قوله .

لأن المخالفة بين الحال والمقال أو الفعل والقول .

---

(١) البيان والتبيين ج ١ ، ص ١٠٤ .

أ- تؤدي إلي عدم تأثير الخطيب في جمهوره

{ فأخلاق الخطيب نفسه تنتهي به إلي الإقناع . حينما تكون الخطبة محضرة بشكل يبعث علي الثقة .

ويملأ نفس الخطيب بالطمأنينة .

وليس صحيحا أن نصدق قالة الذين كتبوا في الخطابة : من أن أمانة الخطيب ونزاهته لا دخل لها في الإقناع .

فنحن نقرر - علي عكس ما يقولون - أن للصفات الخلقية التي يمتاز بها الخطيب أكبر الأثر في قوة الإقناع .}[١]

ب: - كما تؤدي إلي غضب الله تعالي ومقته

﴿ يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ﴾ [٢].

وقد عاب الله عز وجل علي أحبار اليهود لأنهم يأمرون غيرهم بما لا يأتمرون هم به . وينهون عن أشياء لا ينتهون هم عنها فكان قولهم مخالفا لفعلهم فقال سبحانه **﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون ﴾**[٣]

---

(١) فن الخطابة للحوفي صـ ٣٧ .

(٢) سورة الصف أية ٢ .

(٣) سورة البقرة أية ٤٤ .

وهذه الآية الكريمة إن كانت في شـــأن أحبـــار اليـــهود . إلا أن المقصود بها كل من يأمر غيره ولا يأتمر في نفسه . فالعبرة بعمـــوم اللفظ لا بخصوص السبب ٠

وأخرج الإمام مسلم بسنده عن أسامة بن زيد قال : سمعت رســول الله ﷺ يقول : { يؤتي بالرجل يوم القيامة . فيلقي في النار فتندلق أقتابه[١] فيدور بها كما يدور الحمار في الرحي . فيجتمع إليـــه أهـــل النـــار . فيقـــولون : يافلان مالك ؟ ألم تك تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكـــر ؟! . فيقول : بلي كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهي عـــن المنكـــر وآتيه[٢] ٠

وعن أنس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ رأيت ليلـــة أســـري بـــي رجالا تقرض شفاههم بمقاريض من النار . فقلت : مـــن هـــؤلاء يـــا جبريل ؟ فقال : الخطباء من أمتك الذين يأمرون الناس بالبر وينســـون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون[٣] ٠

وإنما يضاعف عذاب العالم في معصيته لأنه عصي عن علم ولأنه قدوة يزل بزلته كثيرون ٠

---

(١) تندلق أقتابه : تخرج أمعاؤه ٠

(٢) صحيح مسلم ج ١٨ ص ١١٨ كتاب الفتن باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله ٠

(٣) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٨٦ ٠

ولذا قيل : زلة العالم ، زلة العالم - وذلك لأن أتباعهم اقتدوا بهم في السوء فلزم لأن ينالهم مثل عقاب أتباعهم .

﴿ **وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم** ﴾[١]،[٢]

فليتجنب الخطيب أن يقول ما لا يفعل . وأن يأمر بما لا يـــأتمر . وأن يسر غير ما يظهر .

ولا يجعل قول الشاعر :

اعمل بقولي وإن قصرت في عملي

ينفعك قولي ولا يضررك تقصيري

عذرا له في تقصيره فيضيره . وإن لم يضر غيره . فإن إعذار النفس يغريها . ويحسن لها مساويها .

فإن من قال ما لا يفعل فقد مكر .

ومن أمر بما لا يأتمر فقد خدع .

ومن أسر غير ما يظهر فقد نافق .[٣]

وقد حدث عبد الله بن المبارك عن معمر عن الحسن عن النبي ﷺ قال :

{ سيكون بعدي أمراء يعطون الحكمة علي منابرهم وقلوبهم أنتن من

---

(١) سورة العنكبوت من الآية ١٣ (٢)هداية المرشدين ص ٩٣ .

(٣) أدب الدنيا والدين : ص ٦١ .

الجيف }[١]

وقال أحمد بن يوسف :

وعامل بالفجور يأمر بالبر .:. كهاد يخوض في الظلم ٠

أو كطبيب قد شفه السقم .:. وهو يداوي من ذلك السقم ٠

يا واعظ الناس غير متعظ .:. ثوبك طهر أولا فلا تلـــم ٠

وقال آخر :-

عود لسانك قلة اللفظ .:. واحفظ كلامك أيما حفظ

إياك أن تعظ الرجال وقد .:. أصبحت محتاجا إلي الوعظ [٢].

وقال مالك بن دينار :- إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظتـــه عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا [٣].

فمثل الخطيب من جمهوره . مثل العود من الظل . فكما أنه محال أن يعوج العود ويستقيم الظل . كذلك محال أن يعوج المرشد ويســتقيم المسترشد ٠

قال حجة الإسلام الغزالي فيما كتبه إلي أبي حامد أحمد بن ســلامة بالموصل [٤]:

---

[١] البيان والتبيين ج ٢ ص٨٨ ٠
[٢] أدب الدنيا والدين ص ٦٢ ٠
[٣] هداية المرشدين ص ٩٠ ٠
[٤] السابق ص ٩١ ٠

أما الوعظ فلست أري نفسي أهلا له لأن الوعظ زكـــاة . نصابـــه الاتعاظ فمن لا نصاب له كيف يخرج الزكاة ؟ وفـــاقد النـــور كيـــف يستنير به غيره ؟ ، ومتي يستقيم الظل والعود أعوج ؟

ولذا قيل في هذا المعني : -

يأيها الرجـــل المعـــلم غيـــره .:. هلا لنفسك كان ذا التعليم ،
تصف الدواء لذي السقام وذي الضنا.:. كيما يصح به وأنت سقيم ،
لا تنه عن خلــق وتأتـــي مثـــله .:. عار عليك إذا فعلت عظيم ،
ابـــدأ بنفســك فانههــا عن غيــها .:. فإذا انتهت عنه فأنت حكيم،
فهناك يســمع ما تقــول ويقتــدي .:. بالقول منك ويقبل التعليم[1].

وإذا أراد الخطيب لنفسه النجاح . فعليه أولا أن يقتنع بما يقول ، ويتعظ به ثم يعظ غيره . ويبصر ثم يبصر . ولا يكون دفترا يفيـد ولا يستفيـد . أو مسنـا يستحد ولا يقطع . أو ســراجا يضـــيء للنـــاس ويحرق نفسه ،

علي ما رواه الطبراني في الكبير عن أبي برزة بسند حسن قال : قال رسول الله ﷺ :

{ مثل الذي يعلم الخير ولا يعمل به . مثل الفتيلـــة . تضيـــئ للنـــاس وتحرق نفسها }[2] .

---

[1] البيان والتبيين ج ١ ص ١١١ وجامع بيان العلم وفضله ج ١ ص ١٩٦ ودرء تعارض العقل والنقل ج ص ٢٢ - ٢٣

(٢) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٨٩ .

ومن الحكم المأثورة :

مثل العالم الذي يعلم الناس وهو غير عامل . كشمعة موقودة . تضيئ للناس . وتحرق نفسها بل يكون كالشمس تفيد القمر الضوء . ولها أفضل مما تفيده . كالنار تحمي الحديد . ولها من الحمو أكثر مما تفيد . كالمسك يطيب غيره . وهو طيب في نفسه[١] .

لئلا ينطبق عليه قول الله تعالي :

﴿ ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام ﴾[٢]

إذا فنجاح الخطيب يبدأ من نفسه هو أولا . وقبل كل شيئ .

والذي يحيط علما بتاريخ خطباء الإسلام الأوائل يجد أن فصاحة المنطق . وذرابة اللسان . وما أشبه ذلك من آلات البلاغة والبيان . كانت آخر ما يلتمس لهم من النعوت والأوصاف . وأن الرجل منهم كان يعظ بعمله وسلوكه ودينه وخلقه وزهده وورعه . أكثر مما بفصاحة منطقه وذرابة لسانه ونصاعة بيانه وبلاغة قوله .

وليس معني ذلك أننا نكلف خطيب المنبر أن يكون في مستوي الإمام علي بن أبي طالب . أو الحسن البصري . أو عبد الرحمن بن الجوزي أو غيرهم ممن كانوا ينابيع حكمة . ومصابيح هداية .

---

(١) هداية المرشدين ص ٩٤ .

(٢) سورة البقرة آية ٢٠٤ .

وإنما نكلفه ألا يكون صورة مشوهة للرجل الذي يقف موقف الرسـول ﷺ . ليقول للناس هذا حلال وهذا حرام .

ويقتضيه هذا - لا محالة - أن يكون علي كثير من العلـم والأدب .

والفقه والورع . والزهد والخلق . ونظافة الظاهر والباطن .

وأن يكون عنده من الإلمام بالمسائل والمعرفة للأحكام . مـا يجعلـه أستاذا فلا يقول قائل : ليته ! ولا . لو كان !

وإنما يقول عنه القائل :

إنه يتحيز مكانا مرموقا وفراغا واسعا .

وهو باعتباره خطيبا دينيا . ينظر الناس إليه بمنظارين اثنين :-

أولا : منظار الخطيب .

ثانيا : منظار عالم الدين .

وكلاهما له حسابه وتقديره وإجلاله واحترامه .

وإذا كان الدين له سلطانه علي الحياة كلها :-

في الاقتصاد والسياسة والسلم والحرب . والمجتمعات والأفراد . وكل معني من معاني العيش والاستقرار .

فإن الخطيب الذي نتحدث عنه وننشده .

يجب أن يكون صورة طيبة لهذا الدين الذي لا يضيق ذرعا بتلك الحياة التي يحياها الناس في شتي مجالاتها وميادينها : المادية والمعنوية . النظرية والعملية التطبيقية .

المبحث الثالث
زاد للخطباء

ونحن بصدد الحديث عن الخطيب . وعوامل نجاحه : أحـــب أن أسجل تجارب وخبرات . ووصايا ونصائح لأعلام مـــن علمـــاء فـــن الخطابة والإلقاء. لتكون زادا لمن أراد الإتقان لهذا الفن . والتفوق فيه.

أ- صحيفة بشر بن المعتمر .

مر بشر بن المعتمر [١] بإبراهيم بن جبلة بن مخرمـــة الســكوني الخطيب . وهو يعلم فتيانهم الخطابة .

فوقف بشر . فظن إبراهيم أنه إنما وفق ليستفيد أو ليكون رجلا مـــن النظارة [٢].

فقال بشر :- اضربوا عما قال صفحا واطووا عنه كشحا [٣].

ثم دفع إليهم صحيفة من تحبيره وتنميقه [٤] وكان أول ذلك الكـــلام - الموجود في الصحيفة :-

---

(١) بشر بن المعتمر صاحب البشرية وهو من أعلام المعتزلة وانتهت إليه رئاسة المعتزلة ببغداد وكان مناظرا قوي الحجة . ذا قدرة علي قهر خصمه وكان له تلاميذه ومريدوه يتدربون عليه في الجدل والخطابة وعلم الكلام . توفي سنة ٢١٠هـ .

(٢) مفردها الناظر . وهو فاعل نظر إذ أجال نظره في المنظور إليه .

(٣) كشحا : اذهبوا عنه وتفرقوا .

(٤) من إعداده وتحضيره الخاص به .

خذ من نفسك : ساعة نشاطك وفراغ بالك وإجابتها إياك .
فإن قليل تلك الساعة أكرم جوهرا وأشرف حسبا وأحسن في الأسماع وأحلي في الصدور وأسلم من فاحش الخطأ وأجلب لكل عين وغرة [١] من لفظ شريف ومعني بديع .

واعلم أن ذلك أجدى عليك مما يعطيك يومك الأطول بالكد والمطاولة والمجاهدة وبالتكلف والمعاودة ومهما أخطأك [٢] لم يخطئك أن يكون مقبولا قصدا وخفيفا علي اللسان سهلا . وكما خرج من ينبوعه ونجم من معدنه .

وإياك والتوعر [٣] فإن التوعر يسلمك إلي التعقيد والتعقيد هو الذي يستهلك معانيك ويشين ألفاظك .

ومن أراغ [٤] معني كريما فليلتمس له لفظا كريما فإن حق المعني الشريف اللفظ الشريف ومن حقهما ان تصونهما عما يفسدهما ويهجنهما [٥] وعما تعود من أجله أن تكون أسوأ حالا منك قبل أن تلتمس إظهارهما وترتهن نفسك بملامستهما وقضاء حقهما فكن في ثلاث منازل :-

(١) العين من الناس والأشياء : الشريف الرفيع ، الغرة هي بياض الجبهة .
(٢) مهما يغيب عنك من المعاني والتعبيرات فإنك لن تخطيء هذه الأشياء .
(٣) التوعر هو التشدد .
(٤) أراغ وارتاغ : طلب وأراد .
(٥) هجن الكلام : صار معيبا مرذولا وهجن الأمر عابه وقبحه .

فإن **أولى الثلاث** :- أن يكون لفظك رشيقا عذبا وفخما سهلا .
ويكون معناك ظاهرا مكشوفا وقريبا معروفا إلا عند الخاصة إن كنت للخاصة قصدت وإما عند العامة إن كنت للعامة أردت .
والمعني ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصـــة وكذلـك ليـس يتضع[١]
بأن يكون من معاني العامة وإنما مدار الشرف علي الصواب .
وإحراز المنفعة : مع موافقة الحال وما يجب . لكل مقام من المقال .
وكذلك اللفظ العامي والخاصي . فإن أمكنك أن تبلغ من بيان لســـانك وبلاغة قلمك ولطف مداخلك واقتدارك علي نفسك إلي أن تفهم العامـة معاني الخاصة وتكسوها الألفاظ الواسطة [٢] التـــي لا تلطـف عـن الدهماء[٣] ولاتجفو عن الأكفاء . فأنت البليغ التام .
قال بشر بن المعتمر :- فلما قرئت علي إبراهيم . قال لـــي :- أنـا أحوج إلي هذا من هؤلاء الفتيان [٤]
ثم قال بشر :- فإن كانت المنزلة الأولي لا تواتيـك ولا تعـتريك ولا تسمح لك عند أول نظرك وفي أول تكلفاك وتجد اللفظة لم تقع موقعها

---

[١] يتضع : يعني يصبح وضيعا .
[٢] أي المبسوطة .
[٣] أي العوام أو غير المثقفين .
[٤] البيان والتبيين : ج ١ . صـ ١٣٦ .

ولم تصر إلي قرارها وإلي حقها من أماكنها المقسومة لها والقافية لـــم تحل في مركزها وفي نصابها ولم تتصل بشكلها وكـــانت قلقـــة فـــي مكانها .

نافرة من موضعها فلا تكرهها علي اغتصاب الأماكن والـــنزول فـــي غير مواطنها فإنك إذا لم تتعاط قرض الشعر الموزون ولـــم تتكلـــف اختيار الكلام المنثور لم يعبك بترك ذلك أحد فإن أنت تكلفتـــهما ولـــم تكن حاذقا مطبوعا ولامحكما لشأنك بصيرا بما عليك ومالك . عـــابك من أنت أقل . ورأي من هو دونك أنه فوقك .

المنزلة الثانية :- فإن ابتليت بأن تتكلف القول . وتتعاطي الصنعة ولم تسمح لك الطباع [١] في أول وهلة وتعاصي عليك بعد إجالة الفكـــرة : فلا تعجل ولا تضجر ودعه بياض يومك وسواد ليلتك وعـــاوده عنـــد نشاطك وفراغ بالك فإنك لا تعدم الإجابة والمواتاة . إن كانت هنـــاك طبيعة . أو جريت من الصناعة علي عرق[٢] فإن تمنع عليك بعد ذلك من غير حادث شغل عرض ومن طول إهمال[٣]

---

[١] الطباع يكون مفردا كالطبيعة مؤنثة وقال الزجاجي : الطباع واحد مذكر- كالنحاس بكسر النون وقال الأزهري : ويجمع طبع الإنسان طباعا . وهو يعني الطبيعة أو الفطرة .

[٢] بأن كان لك ميل نفسي وسجية للخطابة .

[٣] طول إهمال الخطبة يسبب صدأ النفس وفتور القريحة . ويمكن علاج ذلك بالتدريب المستمر .

فالمنزلة الثالثة :- أن تتحول من هذه الصناعة إلي أشهي الصناعات إليك وأخفها عليك فإنك لم تشتهيه ولم تنازع إليه إلا وبينكما نسب والشيء لا يحن إلا إلي ما يشاكله وإن كانت المشاكلة قد تكون في طبقات لأن النفوس لا تجود بمكنونها مع الرغبة ولا تسمح بمخزونها مع الرهبة كما تجود به مع الشهوة والمحبة فهذا هذا . وقال :-

ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني . ويوازي بينها وبين أقدار المستمعين . وبين أقدار الحالات .

فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما . ولكل حالة من ذلك مقاما .

حتي يقسم أقدار الكلام علي أقدار المعاني ويقسم أقدار المعاني علي أقدار المقامات و أقدار المستمعين علي أقدار تلك الحالات .

فإن كان الخطيب متكلما تجنب ألفاظ المتكلمين كما أنه إن عبر عن شيء من صناعة الكلام واصفا أو مجيبا أو سائلا كان أولي الألفاظ به: ألفاظ المتكلمين إذ كانوا لتلك العبارات أفهم . وإلي تلك الألفاظ أميل وإليها أحن وبها أشغف ولأن كبار المتكلمين . ورؤساء النظارين كانوا فوق أكثر الخطباء وأبلغ من كثير من البلغاء وهم تخيروا تلك الألفاظ لتلك المعاني وهم اشتقوا لها من كلام العرب تلك الأسماء وهم اصطلحوّا علي تسمية ما لم يكن له في لغة العرب اسم فصاروا في ذلك سلفا لكل خلف وقدوة لكل تابع ولذلك قالوا : العرض والجوهر

وأيس وليس وفرقوا بين البطـلان والتلاشـي وذكـروا الهذيـة والهوية [١] وأشباه ذلك [٢].

ب- صحيفة أهل الهند :-

إن الإنسان مدني واجتماعي بفطرته . وهو من هذا المنطلق يؤثر فـي غيره ويتأثر بغيره . ويحب التطلع إلي ما عند الآخرين .

فكان العرب وهم أهل فصاحة وبلاغة . عندما يتقابلون مـع غـيرهم يسألونهم عما هو عندهم من البلاغة والبيان ولمـا اتسـعت الدولـة الإسلامية وبدأ غير العرب يفدون إليها في عهد الدولة العباسية ومـا بعدها . زادت المقابلات بين العرب والفرس والهنود .

ففي عهد خالد بن يحيي البرمكي اجتلب عدد من أطباء الهند . وكـان من بينهم :

بهلة الهندي فسأله معمر أبو الأشعث[٣] عن البلاغة عند الهند فقال :- عندنا في ذلك صحيفة مكتوبة ولكن لا أحسن ترجمتها لك ولم أعـالج هـذه الصنـاعة [٤] فأثق مـن نفسـي بالقيـام بخصائصها وتلخيص

---

(١) نسبة إلي هذا . وهو . و. ما هو .

(٢) البيان والتبيين جـ ١ ، صـ ١٣٩ .

(٣) هو معمر بن عباد السلمي . صاحب مدرسة ورئيس فرقة المعمرية من المعتزلة توفي ٢١٥ هجرية .

(٤) صناعة البلاغة والخطابة .

لطائف معانيها .

قال أبو الأشعث : فلقيت بتلك الصحيفة التراجمة فإذا فيها :-

أول البلاغة : اجتماع آلة البلاغة . وذلك :

أن يكون الخطيب رابط الجأش [١] ساكن الجوارح[٢] قليل اللحظ[٣] متخير اللفظ :

لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة ولا الملوك بكلام السوقة[٤] ويكون في قواه فضل التصرف في كل طبقة .

ولا يدقق المعاني كل التدقيق[٥] ولا ينقح الألفاظ كل التنقيح[٦] ولا يصفيها كل التصفية . ولا يهذبها غاية التهذيب .

ولا يفعل ذلك . حتي يصادف حكيما . أو فيلسوفا عليما . أو من قد تعود حذف فضول الكلام . وإسقاط مشتركات الألفاظ . وقد نظر في صناعة المنطق علي جهة الصناعة والمبالغة . لا علي جهة

---

[١] ثابت القلب أو الجنان .

[٢] ثابت الجسد لم يكثر الإشارة إلا في موضعها .

[٣] قليل النظر في عيون الجمهور أو لم يأخذ عليه الجمهور كثيرا من الملاحظات لقوته البلاغية والخطابية ولثقته بنفسه .

(٤) يراعي منازل الناس . فلكل طبقة كلام وأسلوب ولكل مقام مقال .

(٥) بحيث تغمض وتخفي . فلا يفهمها إلا الأذكياء .

(٦) ولا يسهل بها حتي يصل إلى العامية .

الاعتراض والتصفح [١] ولا علي وجه الاستطراف والتظرف[٢]

قال : ومن علم حق المعني [٣]

أن يكون الاسم له طبقا .[٤] وتلك الحال له وفقا.[٥]

ويكون الاسم له . لا فاضلا و لا مفضولا [٦] . و لامقصرا ولا مشتركا . مضمنا .[٧]

ويكون مع ذلك : ذاكرا لما عقد عليه أول كلامه[٨]

ويكون تصفحه لمصادره في وزن تصفحه لموارده [٩] ويكون لفظه مونقا [١٠]

---

[١] تصفح الشيء : نظر فيه ليتعرف عليه .
[٢] من الطرفة وهي التحفة . والتظرف : هو تكلف الظرف والكياسة والحذق .
[٣] في الصناعتين : واعلم أن حق المعني .
[٤] أي مطابقا للمعني .
[٥] والحال موافقا للمعني .
[٦] أن الاسم علي قدر معناه لا يزيد ولا ينقص عنه .
[٧] لا يقصر في الدلالة عليه . و لايكون الاسم مشتركا بين معان كثيرة مثل كلمة : جبن وعين وغيرهما ولايكون الاسم يتضمن المعني من بعيد .
[٨] أي رابطا صدر كلامه بعجزه . ويكون آخر كلامه متمما لأوله ومؤكدا له .
[٩] أن يكون إعداده لخطبته علي قدر جمهور المستمعين : ثقافة وتفكيرا وأحداثا تبحث عن حلول لها .
[١٠] سهلا حسنا .

ولهول تلك المقامات معاودا .[١] ومدار الأمر علي إفــهام كــل قــوم بمقدار طاقتهم . والحمل عليهم علي أقدار منازلهم [٢].

وأن تواتيه آلاته . وتتصرف معه أداته[٣] .

ويكون في التهمة لنفسه معتدلا . وفي حسن الظن بها مقتصدا .

فإنه إن تجاوز مقدار الحق في التهمة لنفسه . ظلمها . فأودعها ذلــة المظلومين . وإن تجاوز الحق في مقدار حسن الظــن بــها : آمنــها فأودعها تهاون الآمنين .[٤]

ولكل ذلك مقدار من الشغل . ولكل شغل مقدار من الوهــن . ولكــل وهن مقدار من الجهل [٥].

وقال بعض أهل الهند : جماع البلاغة : البصر بالحجة . والمعرفــة بمواضع الفرصة . ثم قال : ومن البصر بالحجة . والمعرفة بمواضــع الفرصة :

---

[١] أن يكون كثير التعود والتدريب علي الخطابة والمواجهة .

[٢] أن يراعي أحوال المستمع الفكرية والثقافية .

[٣] أن تسعفه مصادره وذاكرته بسرعة البديهة . ولسانه بالنطق الفصيح . وجوارحه بالإشارة المناسبة .

[٤] أي لا يتواضع حتي يصل بنفسه إلي الإهانة والمذلة . ولا يتكبر حتي يصل بنفسه إلي الغطرسة والغرور .

(٥) البيان والتبيين جـ ١ ، ص، ٩٢-٩٣ .

أن تدع الإفصاح بها إلي الكناية عنها إذا كان الإفصاح أوعر طريقة .
وربما كان الإضراب عنها صفحا أبلغ في الدرك وأحق بالظفر .
وقال مرة : جماع البلاغة : التماس حسن الموقع . والمعرفة بساعات القول .
وقلة الخرق[١] بما التبس من المعاني أو غمض . وبما شرد عليك من اللفظ أو تعذر .
ثم قال : وزين ذلك كله وبهاؤه وحلاوته وثناؤه :
أن تكون الشمائل موزونة والألفاظ معدلة واللهجة نقية .
فإن جامع ذلك : السن والسمت والجمال وطول الصمت فقد تم كل التمام وكمل كل الكمال [٢].

جـ- وصية جعفر بن يحيي :-

قال ثمامة [٣] قلت لجعفر بن يحيي [٤] : ما البيان ؟!

---

(١) الخرق بالتحريك : الدهشة والحيرة .
(٢) السابق ج ١ ، ص ٨٩ .
(٣) هو ثمامة بن أشرس النميري مولي بني نمير كان زعيم القدرية في زمان المأمون والمعتصم والواثق . وهو الذي دعا المأمون إلي الاعتزال . وتروي عنه قصص تشير إلي استخفافه بالدين . من ذلك : أنه رأي الناس يوم جمعة يتعاودون إلي المسجد الجامع لخوفهم من فوت الصلاة . فقال لرفيق له : انظر إلي هؤلاء الحمير والبقر !! ثم قال ما صنع ذلك العربي بالناس ؟ قتل ثمامة في زمن الواثق الذي تولي الخلافة ٢٣٢/٢٢٧ هـ وقيل مات سنة ٢١٣هـ .
(٤) هو جعفر بن يحيي بن خالد البرمكي من كبار البرامكة الذين قتلهم الرشيد- الجاحظ ج١ ص ١٠٥ .

قال : أن يكون الاسم يحيط بمعناك . ويجلي عن مغزاك . وتخرجه عن الشركة . ولا تستعين عليه بالفكرة .

والذي لا بد له منه :- أن يكون سليما من التكلف بعيدا من الصنعة بريئا من التعقد غنيا عن التأويل .

وهذا هو تأويل قول الأصمعي : البليغ من طبق المفصل .[١] وأغناك عن المفسر [٢].

د- وصية أبي تمام الطائي حبيب بن أوس :

قال أبو عبادة البحتري : كنت في حداثتي أروي الشعر وكنت أرجع فيه إلي طبع سليم . ولم أكن وقفت له علي تسهيل مأخذ . ووجوه اقتضاب . حتي قصدت أبا تمام وانقطعت إليه . واتكلت في تعريفه عليه فكان أول ما قال لي : يا أبا عبادة :

تخير الأوقات وأنت قليل الهموم . وصفر من الغموم .

واعلم أن العادة في الأوقات إذا قصد الإنسان تأليف شيء أو حفظه.أن يختار وقت السحر . وذلك أن النفس تكون قد أخذت حظها من الراحة. وقسطها من النوم . وخف ثقل الغذاء .

واحذر المجهول من المعاني.وإياك أن تشين شعرك بالألفاظ الوحشية.

---

(١) طبق المفصل : أصابه إصابة محكمة. فأبان العضو من العضو . ثم جعل لحسن الإصابة بالقول .

(٢) البيان والتبيين ، ج ١ ، ص ١٠٦ ،

وناسب بين الألفاظ والمعاني في تأليف الكلام .
وكن كأنك خياط : تقدر الثياب علي مقادير الأجسام .
وإذا عارضك الضجر فأرح نفسك . ولا تعمل إلا وأنت فارغ القلب .
ولا تنظم إلا بشهوة . فإن الشهوة نعم المعين علي حسن النظم [١].

هـ- وصية الجاحظ :

يخاطب الجاحظ في وصيته كل خطيب . قائلا :-
وأنا أوصيك ألا تدع التماس البيان والتبيين[٢] إن ظننت أن لك فيهما طبيعة[٣] . وأنهما يناسبانك بعض المناسبة ويشاكلانك بعض المشاكلة. ولا تهمل طبيعتك .فيستولي الإهمال علي قوة القريحة . ويستبد بها سوء العادة .

وإن كنت ذا بيان . وأحسست من نفسك بالنفوذ في الخطابة والبلاغة . وبقوة المنة[٤] يوم الحفل . فلا تقصر في التماس أعلاها سورة .[٥] وأرفعها في البيان منزلة . ولا يقطعنك تهيب الجهلاء . وتخويف الجبناء .

---

(١) جواهر الأدب : أحمد الهاشمي ، ص ٢٧/ ٢٨ ، والخطابة د . محمود عمارة . ص ٢٣٨ .
(٢) البيان : هو المنطق الفصيح . والكلام الذي يكشف عن حقيقة حال . أو يحمل في طياته بلاغة . والتبيين : هو الإظهار والإيضاح . أو هما : البيان للنفس والتبين للغير .
(٣) ميل فطري نفسي .
(٤) المنة : هي القوة يقال : ليس لقلبه منه. ج : منن .
(٥) يريد : ما دامت لك قدرة وتسام فأطلب القمة العليا .

ولا تصرفنك الروايات المعدولة عن وجوهها . المتأولة علـــي أقبـــح مخارجها . وكيف نطيعهم بـــهذه الروايـــات المعدونـــة . والأخبـــار المدخولة . وبهذا الرأي الذي ابتدعوه من قبل أنفسهم .

وقد سمعت الله تبارك وتعالي ذكر داود النبي صلوات الله تعالي عليـــه فقال :-

﴿ واذكر عبدنا داود ذا الأيدي إنه أواب . إنا سخرنا الجبـــال معـــه يسبحن بالعشي والإشراق . والطير محشورة كل له أواب . وشـــددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب ﴾[١]

فجمع له بالحكمة : البراعة في العقل . والرجاحة في العلم . والاتساع في العلم . والصواب في الحكم .

وجمع له بفصل الخطاب : تفصيل المجمل . وتلخيص الملتبس . والبصر بالحز في موضع الحز[٢] والحسم في موضع الحسم [٣].

وذكر رسول الله صلي الله عليه وسلم شعيبا النبي عليه السلام .

---

[١] سورة ص آية : ١٧ _ ٢٠ .

[٢] حز الشيء حزا : قطعه ولم يفصله . ويقال : حز الشيء في صدره أو قلبه : أثر فيه .

[٣] الحسم هو : القطع والفصل : يقال : حسم الشيء : قطعه. والداء : أزاله بالدواء . و- العرق : قطعه وكواه لئلا يسيل دمه . وحسمت الأم طفلها : منعته الرضاع . ومنه الحسام : السيف القاطع- المعجم الوسيط ص ١٧٠ ، ١٧٣.

فقال :- كان شعيب خطيب الأنبياء-

وذلك عند بعض ما حكاه الله في كتابه . وجلاه لأسماع عباده .

فكيف تهاب منزلة الخطباء . وداود عليه السلام سلفك . وشعيب إمامك. مع ما تلوناه عليك في صدر هذا الكتاب- البيان والتبيين للجاحظ- من القرآن الحكيم . والآي الكريم.

وهذه خطب رسول الله صلي الله عليه وسلم مدونة محفوظة . مخلدة مشهورة . وهذه خطب أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله تعالي عنهم وعن كل الصحابة أجمعين . وقد كان لرسول الله صلي الله عليه وسلم شعراء ينافحون عنه وعن أصحابه بأمره .

وكان ثابت بن قيس بن الشماس الأنصاري[١] خطيب رسول الله صلي الله عليه وسلم . لا يدفع ذلك أحد [٢].

---

[١] ثابت بن قيس بن شماس بن زهير الأنصاري الخزرجي . أحد الصحابة المبشرين بالجنة وقد نفذ أبو بكر وصية له بعد موته . أوصي بها رجلا رآه في نومه .

[٢] البيان والتبيين جـ ١ ، صـ ٢٠٠- ٢٠١ .

المبحث الثالث

نماذج تطبيقية

إنه لمن المفيد جدا في هذا المجال . أن نورد بعض النماذج من الخطابة العملية التي أثرت أبلغ تأثير في المستمعين . لاشتمالها علي القواعد الخطابية السليمة الصحيحة . التي سبق أن عرضنا لكثير منها آنفا .

وفي مقدمة هذه النماذج :

أ- الخطابة النبوية الشريفة

أولا : - هديه ﷺ في خطبته : -

- خطب النبي ﷺ : عليّ الأرض . وعلي المنبر . وعلي البعير . وعلي الناقة ...

- وكان إذا خطب احمرت عيناه . وعلا صوته . واشتد غضبه . كأنه منذر جيش . ويقول : بعثت أنا والساعة كهاتين ويفرق بين إصبعيه السبابة والوسطي . ويقول : أما بعد .

فإن خير الحديث كتاب الله . وخير الهدي . هدي محمد ﷺ . وشر الأمور محدثاتها . وكل محدثة بدعة . وكل بدعة ضلالة .

- وكان لا يخطب خطبة إلا افتتحها بحمد الله تعالي .

وأما قول كثير من الفقهاء : إنه يفتتح خطبة الاستسقاء بالاستغفار . وخطبة العيد بالتكبير . فليس معهم فيه سنة عن النبي ﷺ البتة . وسنته تقضي خلافه . وهو افتتاح جميع الخطب بالحمد لله .

- وكان يخطب قائما

- وكان ﷺ إذا صعد المنبر : أقبل بوجهه علي الناس . ثم قال : - السلام عليكم .

- وكان ﷺ يختم خطبته بالاستغفار .

- وكان كثيرا ما يخطب بالقرآن :

وفي صحيح مسلم : عن أم هشام بنت حارثة . قالت : ما أخذت - ق والقرآن - إلا علي لسان رسول الله ﷺ يقرأها كل يوم جمعة علي المنبر إذا خطب الناس .

وذكر أبو داود عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ كان إذا تشهد قال : الحمد لله . نستعينه ونستغفره . ونعوذ بالله من شرور أنفسنا . من يهد الله فلا مضل له . ومن يضلل فلا هادي له . وأشهد أن لا إله إلا الله. وأن محمدا عبده ورسوله . أرسله بالحق بشيرا ونذيرا بين يدي الساعة . من يطع الله ورسوله فقد رشد . ومن يعصهما فإنه لا يضر إلا نفسه . ولا يضر الله شيئا .

- وكان مدار خطبه علي حمد الله تعالي . والثنـــاء عليــه بآلائـــه . وأوصاف كماله ومحامده . وتعليم قواعد الإسلام . وذكر الجنة والنار والمعاد . والأمر بتقوى الله وتبيين موارد غضبه . ومواقع رضـــاه . فعلي هذا كان مدار خطبه .

- وكان يخطب في كل وقـــت بمـــا تقتضيــه حاجــة المخـــاطبين . ومصلحتهم .

- وكان يقصر خطبته أحيانا . ويطيلها أحيانا . بحسب حاجة النـاس . وكانت خطبته العارضة . أطول من خطبته الراتبة [١].

ثانيا : أول خطبة خطبها النبي ﷺ:

لما أمر الله تعالي نبيه بالجهر بالدعوة في قوله تعالي : -

[**وأنذر عشيرتك الأقربين**][٢]دعاهم النبي ﷺ مرارا . وفـــي احـــدي هذه المرات خطبهم قائلا : -

الحمد لله . أحمده . وأستعينه . وأومن به . وأتوكل عليه . وأشـــهد أن لا إله إلا الله . وحده لا شريك له ...

ثم قال : - إن الرائد لا يكذب أهله . والله لو كذبت الناس جميعا مـــا كذبتكم ولو غررت الناس جميعا ما غررتكم . والله الـــذي لا إلـــه إلا هو. إني رسول الله إليكم خاصة . وإلي الناس عامة . والله لتموتن كما

---

[١] زاد المعاد : جـ ١ صـ ٤٧-٤٨ .
[٢] سورة الشعراء آية ٢١٤ .

تنامون . ولتبعثن كما تستيقظون . ولتحاسبن بما تعملون . وإنها الجنة أبدا أو النار أبدا[١] .

هذه هي أول خطبة خطبها النبي ﷺ . بعد النبوة والرسالة . وهو بمكة وهذه الخطبة مع قصرها . تشتمل علي مبادئ الإسلام ومحتويات الرسالة كلها بأسلوب غاية في الفصاحة والبلاغة . والحكمة وفصل الخطاب .

وأهم ما تدور حوله الخطبة :-

١- الإيمان بالله تعالي . والشهادة له بالوحدانية .

٢- الإيمان بالرسول ﷺ . والشهادة له بالرسالة .

٣- التأكيد علي عالمية الإسلام لكل الناس عربهم وعجمهم .

٤- الإيمان باليوم الآخر . بداية من الموت . ثم البعث . ثم الحساب . ثم ما يترتب علي الحساب من نعيم في الجنة . أو عذاب في النار .

ثالثا : خطبة النبي ﷺ في حجة الوداع :

في يوم التاسع من ذي الحجة سنة عشر من الهجرة النبوية الشريفة . أتي النبي ﷺ إلي عرفة . وقد اجتمع حوله مائة ألف وأربعة وأربعون ألفا من الناس . فقام فيهم خطيبا . فقال :

الحمد لله . نحمده . ونستعينه . ونستغفره .ونتوب إليه. ونعوذ بالله من شرور أنفسنا.ومن سيئات أعمالنا . من يهد الله فلا مضل له . ومن

---

(١) الرحيق المختوم صـ ٩٠ . والسيرة الحلبية جـ ٢ صـ ٢٧٢ .

يضلل فلا هادي له . وأشهد أن لا إله إلا الله .وحده لا شـــريك لـــه، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ." أوصيكـــم عبـــاد الله بتقـــو ى الله . وأحثكم علي طاعته . وأستفتح بالذي هو خير " .

أيها الناس : -

اسمعوا مني . أبين لكم . فإني لا أدري . لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا .

أيها الناس : -

إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم[١] إلي أن تلقـــوا ربكـــم . كحرمـــة يومكم هذا . في شهركم هذا ،في بلدكم هذا، [٢]

ألا هل بلغت . اللهم اشهد ،

فمن كان عنده أمانة فليؤدها إلي من ائتمنه عليها ،

وإن ربا الجاهلية موضوع ،[٣]

وإن أول ربا أبدأ به : ربا عمي العباس بن عبد المطلب ،

وإن دماء الجاهلية موضوعة ،

وإن أول دم أبدأ به : دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ،[٤]

---

(١) حرام عليكم سفك الدماء . واغتصاب الأموال وكان ذلك يفعل في الجاهلية .

(٢) تأكيد للحرمة . لأنهم كانوا يوم عرفة . وهو يوم حرام ،وفي بلد حرام . وفي شهر حرام . هو شهر ذي الحجة . وكذلك . جملة – ألا هل بلغت اللهم اشهد – من زيادة التأكيد .

(٣) موضوع : أي ساقط : يقال وضعت عنه الدين والجزية ونحوهما أي أسقطته .

(٤) كان مسترضعا في بني ليث . وقتله هذيل وقد أسقط رســـول الله ﷺ ثارات الجاهليـــة =

وإن مآثر الجاهلية [١]موضوعة غير السدانة والسقاية[٢] .

والعمد قود – أي قصاص فالقاتل عمدا يقتل – وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر . وفيه مائة بعير . فمن زاد فهو من أهل الجاهلية .

أيها الناس : –

إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه . ولكنه قد رضي أن يطاع فيما سوى ذلك : مما تحقرون من أعمالكم .

أيها الناس : –

إنما النسئ [٣]. زيادة في الكفر . يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما . ليواطئوا [٤]عدة ما حرم الله .

وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض .وإن عدة الشهور عند الله اثني عشر شهرا . في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض منها أربعة حرم . ثلاث متواليات . وواحد فرد : ذو القعدة . وذو الحجة . والمحرم . ورجب الذي بين جمادي وشعبان . ألا هل بلغت . اللهم اشهد .

= . وأسقط المطالبة بثأر عامر . ومعني وضع الربا أو الدم أنه لا يطالب به .

(١) المآثر : جمع مأثرة . ومآثر الجاهلية : مفاخرها التي تؤثر ويروي حديثها وخبرها .

(٢) السدانة : خدمة الكعبة . وهي بفتح السين وكسرها . وكانت السدانة واللواء لبني عبد الدار في الجاهلية .فأقرها رسول الله ﷺ في الإسلام . والسقاية : ما كانت قريش تسقيه الحجاج من الزبيب المنبوذ في الماء .

(٣)النسئ : شهر كانت العرب تزيده لتفصل بين شهري الحرم : ذي الحجة والمحرم بشهر حلال .

(٤) ليواطئوا : أي ليوافقوا .

أيها الناس : -

إن لنساءكم عليكم حقا . ولكم عليهن حق لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم غيركم . ولا يدخلن أحدا تكرهونه بيتكم إلا بإذنكم . ولا يأتين بفاحشة . فإن فعلن . فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن [١] وتهجروهن في المضاجع . وتضربوهن ضربا غير مبرح [٢]٠فإن انتهين وأطعنكم. فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف ٠

وإنما النساء عندكم عوان[٣] . لا يملكن لأنفسهن شيئا . أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله . فاتقوا الله في النساء . واستوصوا بهن خيرا . ألا هل بلغت . اللهم اشهد ٠

أيها الناس : -

إنما المؤمنون إخوة . ولا يحل لامرئ مال أخيه إلا عن طيب نفس منه. ألا هل بلغت . اللهم اشهد ٠فلا ترجعن بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض . فإني قد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعده . كتاب الله . ألا هل بلغت . اللهم اشهد ٠

---

(١) العضل : هو المنع الشديد ٠

(٢) هذه العقوبة أبيحت للزوج طبقا للخطأ الذي ترتكبه الزوجة ٠

(٣) العوان : المتوسطة العمر بين الصغر والكبر من النساء والبهائم .
والعوان من النساء : من كان لها زوج . وحرب عوان قوتل فيها مرة بعد مرة " ج " عون " وكثير من المعاجم اللغوية تفسر - عوان - علي أنها جمع عانية أي أسيرة وأري : أن عوان قد تكون من المعاونة أو المساعدة أي أن النساء معاونات لكم علي أموركم الدينية والمعاشية فاتقوا الله فيهن واستوصوا بهن خيرا - زوجة أو أما أو بنتا أو أختا ٠٠٠٠٠

أيها الناس : -

ان ربكم واحد . وإن أباكم واحد . كلكم لآدم وآدم من تراب . أكرمكم عند الله أتقاكم . وليس لعربي علي عجمي فضل إلا التقوي . ألا هل بلغت . اللهم اشهد .

قالوا : نعم . قال : فليبلغ الشاهد الغائب .

أيها الناس : -

إن الله قد قسم لكل وارث نصيبه من الميراث . ولا يجوز لوارث وصية . ولايجوز وصية في أكثر من الثلث . والولد للفراش وللعاهر الحجر(١) . من ادعي إلي غير أبيه . أو تولي غير مواليه . فعليه لعنة الله . والملائكة والناس أجمعين . لا يقبل منه صرف ولا عدل . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته (٢).

هذه الخطبة النبوية الشريفة من أجمع خطب النبي صلي الله عليه وسلم . لأنها حوت تعاليم كثيرة وهامة . في الأمن النفسي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي وأمور النساء والميراث والالتزام بالكتاب والسنة .

كما أن هذه الخطبة جمعت أصولا تبدو الآن معترفا بها مجمعا عليها

---

(١) إذا ثبت الزنا علي امرأة فالولد لزوجها ويقام عليها الحد فإن كان الزوج منكرا للولد لاعن أمه بأن يبرئ نفسه باللعان من حد قذفها بالزنا .

(٢) سيرة ابن هشام جـ ٤ صـ ١٨٣ . والبيان والتبيين ج ٢ ص ٣١ .

ولكن الذين درسوا حالة المجتمع العربي . وقت إلقائها . بل حالة المجتمع الإنساني يعرفون أنها كانت أساسا جديدا لأكبر انقلاب اجتماعي منذ ظهوره ﷺ .

ويلحظون إحاطتها – على قصرها – بالداء والدواء . وأن فيها أسس الحضارة التي جعلت من العرب أمة تسوس المشرق والمغرب قرونا كثيرة . وها هي الأيام تمر . فتبلي كل جديد وفصاحة النبي محمد ﷺ وبلاغته لا تزال نضرة عذبة يبتهج بها المتطلع إلى الأدب والعلم ويجد فيه الأديب ريا وشفاء[١] .

اهم عناصر الخطبة النبوية الشريفة في حجة الوداع

تشتمل هذه الخطبة الشريفة علي عناصر كثيرة من أهمها: -

أولا : المقدمة :

وتشتمل علي الحمد والثناء علي الله تعالي بما هو أهله والشهادتين والوصية بتقوي الله ﷻ والحث علي طاعته .

ثانيا : الموضوع :

ويشتمل علي أمور كثيرة سيأتي ذكرها إن شاء الله تعالي .

ثالثا : الانتهاء : من الخطبة بدون خاتمة منفصلة .

---

(١) مع الله : الشيخ محمد الغزالي ص ـ ٤٤٢ .

لأن النبي ﷺ أدمج الخاتمة في سياق العرض بعد كل وصية أو أمـــر وكان من السامعين إصغاء وانتباه ويقظة عقليـــة وقلبيـــة وضميريـــة فانتفعوا ونفعوا وتعلمو وعلموا ٠

مكونات موضوع الخطبة الشريفة

١- تنبؤ النبي ﷺ بانقضاء أجله وصدقت النبؤة بعد واحد وثمانين يوما تقريبا ٠

٢- تحريم القتل وسلب أموال الغير ٠

٣- الأمر بأداء الأمانة ٠

٤- تحريم الربا والبدء بتحريم ربا عمه العباس ليكون قدوة لغيره ٠

٥- تحريم الأخذ بالثأر والبدء بإسقاط ثأر ابن عمه ليكون في ذلك قدوة لغيره ٠

٦- تحريم كل مآثر الجاهلية إلا ما كان صالحا للإسلام والمسلمين كخدمة البيت الحرام وسقاية الحجيج ٠

٧- تأكيد تشريع القصاص في القتل العمد وتفصيل الدية في القتل الخطأ ٠

٨- التحذير من اتباع الشيطان في أي شئ ولو كان قليلا ٠

٩- كيفية التعامل مع الزمن وعدم تطويع الزمن لهوي الإنسان . يحل منه . ويحرم . كيفما يشاء ٠

١٠ – العــدالة الاجتماعيــة في داخــل الأسرة الصغيرة ببيان حقوق وواجبات كل من الزوج والزوجــة تجاه الآخر . وكيفية إصلاح الأخطاء بالأسلوب الأدبي الرفيع .

١١- العــدالة الاجتماعيــة داخل الأسرة الكبيرة . – كافة المجتمع الإســلامي – وبيــان السبيل التي تؤدي بهم إلي العدالة في كل أمورهم الشخصية والاجتماعية النظرية والعملية . وهي :
التمسك بالكتاب الكريم والسنة النبوية الشريفة . في كل زمان ومكان .

١٢- تأكيد مبدأ التوحيد لله عز وجل . والمساواة بين كل البشر .

١٣- تأكيد وجوب الدعوة الإسلامية علي كل المسلمين . كل علي قدر طاقته . وفي حدود ثقافته ومعلوماته .

١٤- كيفيــة تقسيــم الميراث . وعدم تمييز أحد الورثة بأي شئ إلا برضا كل الورثة فيما لا يزيد عن الثلث .

١٥- معالجة قضية الأنساب بين الأبناء والآباء .

ب ـ خطابة الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه :

هو أبو الحسن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بــن هاشــم . وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم .

كان أصغر ولد أبي طالب سنا . وتربي في بيت النبي ﷺ . وكــان من كتــاب الوحــي للنبي ﷺ . شهد كل المشاهد مع الرسول .

وزوجه صغري بناتــه السيدة فاطمة الزهراء . فولدت له : الحســـن والحسين وأم كلثوم وزينب . ولم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت ٠

ولي الخلافة بالمدينة المنورة يوم مقتل ذي النورين عثمـــان بـــن عفان رضي الله عنهما في ذي الحجة سنة ٣٥ هـ ورحل عن المدينة إلي الكوفة فاستقر بها . وكانت خلافته أربع سنوات وتسعة أشـــهر . وعشرة أيام . وقتل بالكوفة غيلة علي يد عبد الرحمـــن بـــن ملجـم المـــرادي الخارجي بالمسجد في السابع عشر مـــن رمضـــان سـنة أربعين هجرية ٠

لماذا خطب الإمام علي من بين الخلفاء الراشدين ؟

- لأنه تربي في حجر رسول الله ﷺ منذ طفولته المبكـــرة . وأســلم صبيا . فلم تدنسه العقائد الباطلة مثل غيره من الشباب فشـــب علـــي جوامع الكلم . وكريم الخلال ٠

- عاش كل أحداث الدعوة الإسلامية منذ بدايتها الأولي وخاض جميـع غمارها حتي كان مضرب الأمثال بما صنعه ليلـــة الـــهجرة النبويـــة الشريفة ٠ حين نام مكان النبي ﷺ فتـــأصلت فيـــه نخـــوة الرجولـــة والشجاعة حتى بلغت غايتها فيه ٠

- تحمله لمثل هذه المهمة الجسيمة أضفي علـــي شـــخصيته وعلـــي كلامه صبغة الجد والصدق والإقناع والتأثير ٠

(فإذا تكلم ... لم يكن كلامه عاديا . وإنما كان لـــه مــن تجربتــه وتطبيقه لما يقول . مزيــد مــن التأثيــر في السامعيــن ... الذيــن لا يتلقون عنه كلاما فقط . وإنما تجربة نابضة بالحركة والحيوية .

- هذا بالإضافةإلي ما زوده به الإيمان من معرفة دقيقة بدوافع النفس الإنسانية ورغائبها مما ساعده علي الضرب فوق وترهـــا الحســاس فحقق التأثير المطلوب .) [١]

إذا : فالباعث الأهم لخطب الإمام علي والمعين الأعمـــق الــذي يغترف منه : كانت ثقافته الإنسانية العميقة الجذور التي أوغل فيــها . يتقصي أحوال البشر وواقع النفس . يغذي ذلك ويرفده ما اطلع عليــه من أمر الدين وتعاليمه .

وإذا كانت الحلة البلاغية التي تكسو خطبه . تحدث الانفعال فـــي نفس السامع فإن ثقافة الإمام وخبرته العميقة بأحوال النفس البشـــرية كانت تعمق الانفعال وتجعله يقيم في نفوس الناس متفاعلا فيها .

فخطبة الإمام ليست الخطبة الحماسية الفاقدة للمضمون . بل إنـــها الخطبة الإنسانية التي توضح معاناة الناس لمصائرهم وتأرجحهم بيــن الحق والباطل . والنصر والهزيمة . والاعتـــدال والميــل . والديــن والدنيا. وما إلي ذلك من ثنائيات نفسية شديدة التوتر والفاجعة .

وقد كــان الإمــام علي بذلــك : شــاهد عــلي عصره . تنعكس

---

(١) الخطابة في موكب الدعوة صـ ٣٧٩ .

أزماته وأحداثه في خطبه . من انعكاسها في ضمير الخطيب . ووقوفه فيها موقف المصارع الشهيد الذي تنزف جراح الحـــق مـــن جنبيـــه وأحشائه[(١)] . حتى اتفق خصومه وأنصاره علي : بلاغته كما اتفقـــوا علي : علمه وفطنته [(٢)].

ومن هنا تظهر لنا بعض خصائص الإمام علي في فن الخطابة : -

١- يمتـــاز بحـــدة الانفعـــال الذي يندمج في موضوع خطبته . بذاته كخطيب . لأن موضوع الخطبة جزء من تجربته الشخصية . أي جزء من حياته الخاصة .

٢- كان يصـــدر في خطبته عن نزعة دينية عميقة الجذور في نفسه وهو بذلك : - منطقي مع نفسه وظروفه التي نشأ فيها مع رسول الله ﷺ في مساقط الغيث المبارك الطهور .

فكان ذلك كله زاداً من المعاني الحية القـدسية . إلي جانب فطرتـــه التي تميزت بشدة الإحساس . والشعور المرهف النـــافذ إلـــي دقـــائق النفس الإنسانية .

وقد نفخ في كلماته روح الحياة ... فتأخذ طريقها إلـــي قلـــوب تتلقي عنه بالإعجاب والتقدير . علي قدر ما أحدث فيها من تأثير [(٣)].

---

(١) فن الخطابة : إيليا حاوي . ص ١٥٨ .
(٢) نهج البلاغة ص ٩ .
(٣) الخطابة في موكب الدعوة ص ٣٨٠ .

٣- قد يلاحظ في أساوبه تكراراً : لكنه التكرار المقبول . وليس هو بالمعني التقليدي المعروف ٠

إنه يتناول المعني بألفاظ مختلفة ٠٠ يتحقق فيها تشــويق الســامع وإثارته ليستوعب ما يقال . وأكبر من ذلك . فإنها ألوان من التعبــير يحس قائلها أنه ممتلئ الوجدان بعظمة الخـــالق ســبحانه وتعــالي . فيحاول التعبير عن هذه العظمة[١] بكافة السبل والوســائل . كتكــرار بعض الألفاظ وغير ذلك ٠

ومن أشهر خطبه التي ينطبق عليها ما سبق : -

خطبة الجهـــاد

المناسبة التي قيلت فيها الخطبة : -

نمــا إلي علــم علي بن أبي طالب : أن خيلا لمعاوية بــن أبــي سفيان ﷺ يقودها سفيان بن عوف الأزدي ثم الغامدي . أغارت علــي الأنبار زمان علي بن أبي طالب ﷺ.. فقتل عاملها مــن قبــل علــي واسمه حسان أو ابن حسان البكري [٢] . ودخلت الـــدور . وأخــذت الحلي من أيدي النساء المسلمات منهن والمعــاهدات وغنمــت . ثــم رجعت هذه الخيل . من غير أن تلقي مقاومة . أو يصيبها أذي ٠

---

(١) السابق ص ٣٨١ ٠

(٢) هو أشرس بن حسان البكري ٠

فخرج علي مغضبا. حتى جلس علي باب السـدة [١]. فحمـد الله تعالي . وأثني عليه وصلي وسلم علي نبيه . ثم قال : -

نص الخطبة : -

أما بعد فإن الجهاد باب من أبواب الجنة فمن تركه رغبة عنـه . ألبسه الله ثوب الذل . وشمله البـلاء [٢]ولزمـه الصغـار . وسـيم الخسف[٣].ومنع النصف[٤].

أو إني قد دعوتكم إلي قتال هؤلاء القوم ليـلا ونـهارا . وسـرا وإعلانا . وقلت لكم : أغزوهم قبل أن يغزوكم . فوالله ما غزي قـوم قط في عقر دارهم إلا ذلوا[٥] فتواكلتم[٦]وتخاذلتم . وثقل عليكم قولي . فاتخذتموه وراءكم ظهريا[٧] حتى شنت عليكم الغارات .

هذا أخو غامد قد وردت خيله الأنبار . وقتل حسان أو ابـن حسـان البكري ... وقتل منكم رجالا صالحين . ولقد بلغني : أن الرجل منـهم كان يدخل علي المسلمـة والأخري المعاهـدة . فينزع حجلها وقلبها

---

(١) السدة كالصفة تكون بين يدي البيت وسدة المسجد : ما حوله من الرواق .
(٢) الشملة : كساء واسع .
(٣) سيم الخسف : أذل .
(٤) النصف بالتحريك : وكذا النصفة : الإنصاف .
(٥) عقر الدار : بالضم والفتح : محلتهم بين الدار والحوض .
(٦) تواكلتم : وكل كل منكم الأمر إلي الآخر .
(٧) اقتباس من قوله تعالي : (قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا إن ربي بما تعملون محيط) آية ٩٢ من سورة هود .

ورعاثها [١] ثم انصرفوا وافرين •

ما كلم رجل منهم كلما[٢] فلو أن امرءا مسلما مات من بعد هذا أسفا . ما كان عندي به ملوما . بل كان به عندي جديرا •

فيا عجبا من جد هؤلاء القوم في باطلهم وفشلكم عن حقكم . فقبحا لكم وترحا [٣]حين صرتم هدفا يرمي وفيئا ينتهب . يغار عليكم ولا تغيرون . وتغزون ولا تغزون ويعصي الله وترضون . فإذا أمرتكم بالسير إليهم في أيام الحر قلتم : حمارة الغيظ[٤] أمهلنا ينسلخ عنا الحر . وإذا أمرتكم بالسير في البرد . قلتم : أمهلنا ينسلخ عنا القر[٥]. كل هذا : فرارا من الحر والقر . فإذا كنتم من الحر والقر تفرون . فأنتم والله من السيف أفر !! يا أشباه الرجال ولا رجال . ويا أحلام الأطفال [٦]. وعقول ربات الحجال[٧] . وددت لو أن الله تعالي أخرجني من بين ظهرانيكم . وقبضني إلي رحمته من بينكم . والله

---

(١) الحجل : الخلخال . والقلب بالضم فسكون : السوار . الرعاث جمع رعث بالفتح . ورعثة بالضم والتحريك . وهو القرط •

(٢) وما خدش رجلا منهم خدشا صغيرا أو كبيرا •

(٣) قبحه الله قبحا : أقصاه وأبعده من كل خير . والترح الحزن . وهو هنا ما ينصب ليرمي بالسهام . إشارة إلي أن أهل العراق هدفا لجنود معاوية . يرمونهم فلا يدفعون عن أنفسهم الأذي •

(٤) شدة الحر •

(٥) شدة البرد •

(٦) أي يا عقول الأطفال •

(٧) أي النساء •

لوددت اني لم اركم . ولم أعرفكم . معرفتكم والله جرت ندمـــا . قـــد وريتم صدري غيظا [١] . وجرعتموني الموت أنفاسا[٢] وأفسدتم علـــي رأيي بالعصيان والخذلان . حتى قالت قريش : ابن أبي طالب شـجاع . لكن لا علم له بالحرب . لله أبوهم !!! وهل منهم أحـــد أشـــد لـــها مراسا [٣] أو أطول لها تجربة مني ؟؟!! لقد مارســـتها ومـــا بلغـت العشرين . فها أنا قد نيفت علي الستين . ولكن لا رأي لمن لا يطاع[٤] .

تحليل الخطبة : -

تحدث الإمام علي في هذه الخطبة عن موضوع الجـــهاد والحـــث عليه والترغيب فيه والترهيب من التفريط فيه . وقد جاءت الخطبـــة محكمة في أدائها . قوية في أسلوبها . شديدة في ألفاظها وتعبيراتـــها . لأن مقامها يقتضي ذلك . فجاءت موافقة لمقتضي الحال .

١- بدأها الإمام علي بالترغيب في الجهاد مبينا أنه باب مـــن أبـــواب الجنة .

٢- الترهيب من التخاذل عن الجهاد لأنه يورث الإنسان الذل والمهانة

٣- التبكيـــت علي عدم سماعهـــم دعوته لهم بالاستعداد للغزو وعلي

---

(١) أي ملأتم صدري غيظا .
(٢) أنفاسا : جمع نفس وهو الجرعة من الماء ونحوه .
(٣) المراس : المزاولة .
(٤) البيان والتبيين ج ٢ ص٥٣ .

تواكلهم وعدم مبالاتهم بقوله . حتى كانت الفاجعة بالإغارة . ثم الهزيمة الساحقة ٠

٤- ويبدأ هذا التبكيت حين يعجب من جد المبطل في باطله . وتقاعس المحـق في الدفاع عن حقه . واسترداد شرفه وكرامته . وحين يبين تعليـلاتهم السقيمـة . وأفكارهم الصبيانية والنسائية في عدم خروجهم للجهاد . بالحر والبرد ٠

٥- وينتهي من خطبتـه بتمنيـه الموت إذ هو أشرف عند الله وعند الناس مما حدث . إذ كان كـرم اللـه وجهه مضرب الأمثال في الفتوة والشجاعة منذ الصغر فهو اليوم بتخاذلهم عن الجهاد علي لسان القالة : لا علم له بالحرب . والإمام علي كرم اللـه وجهه بهذا العرض الدقيق المثير يستثير فيهم غريزة المقاتلة ليصـحوا بعد رقاد وينشطوا بعد خمول . ولم يكن غضبه جامحا يريـد به قتل نفوسهم بل إنه بما بسط من قول وما كشف من خفايا النفوس يريـد لهم أن يجددوا حياتهم ليأخذوا لهم مكـانـا تحت الشمس ولا يصبحون هكذا : هدفا لكل رام . وحظيرة من غير باب[1] ٠

ويؤكد هذا : -

أنه في نهاية الخطبة قام رجل من الأزد يقال له : ابن عفيف ثم أخـذ بيد ابن أخ له . فقال :

---

(١) الخطابة في موكب الدعوة ص ٣٨٦ ٠

هأنذا يا أمير المؤمنين لا أملك إلا نفسي وابن أخي . فأمرنا بأمرك فوالله لنمضين له ولو حال دون أمرك شوك الهراس[١] وجمر الغضي[٢] .

فقال لهما علي :

وأين تبلغان ما أريد[٣] رحمكما الله تعالي[٤] !!!

---

(١) الهراس بالفتح : شجر كثير الشوك .
(٢) جمر النار الحامية .
(٣) ويروي أنه أثني عليهما خيرا وقال أين تقعان مما أريد ثم نزل .
(٤) الجاحظ جـ ٢ ص ٥٥ .

الخاتمة

الحمد لله الذي له ما في السماوات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير[١] والصلاة والسلام علي أفصح خلق الله أجمعين الذي أوتي جوامع الكلم القائل : { إن من البيان لسحرا } [٢]

أما بعد

فقد حاولت قدر جهدي أن أقدم بعض العوامل الأساسية . والمقومات الضرورية . لنجاح الخطيب في خطبته . وقدمتها في شكل قواعد ضرورية . لا غني عنها للخطيب . بحال من الأحوال . لكي ننهض " بالخطابة والخطيب " التي تعد أهم وسيلة فعالة في الدعوة إلي الله تعالي ·

وقد التزمت في هذه المباحث بتوجيهات كبار المشاهير من البلغاء والخطباء وعلماء النفس المعاصرين ·

وقسمتها إلي أربعة مباحث أساسية مرتبطة ببعضها .

---

(١) سورة سبأ آية ١ ·
(٢) سبق تخريجه في صفحة ٤٥

في بدايتها عرفت بالخطيب ومكانته . حتى يعرف مهمتـــه ودوره في الحياة . وإذا ما عرف الخطيب ذلك . جئت ببعـــض المقومـــات اللازمة لنجاحه . وهي عشر – من وجهة نظري الخاصة – ثم ذكرت بعض النصائح والتوجيهات لكبار البلغاء والخطباء كزاد يـــتزود بـــه الخطيب المعاصر . ثم سقت بعض النماذج التطبيقيـــة لكـــي يســير الخطيب المعاصر علي نهجها . ليكون له أبلغ الأثر في مستمعيه .

وحسبي في هذه المباحث أني اجتهدت قدر المســتطاع .

وأسأل الله تعالي ألا يحرمني الأجر والمثوبة .

وأصلي وأسلم علي أفصح الخلق سيدنا محمد وعلي آله وصحبه أجمعين .

المؤلف

المراجع

١- القرآن الكريم : - كلام رب العالمين سبحانه وتعالي٠

٢- أدب الدنيا والدين : لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردى . طبعة مكتبة الصحابة بطنطا بدون تاريخ ٠

٣أ- أساس البلاغة : - الإمام جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري تحقيق : عبد الرحيم محمود . طبعة : دار المعرفة بيروت لبنان ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م ٠

٣ب- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية : مصطفي صادق الرافعي ط٦ المكتبة التجارية بالقاهرة ١٩٦٥م ٠

٤- البيان والتبيين : لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون : طبعة دار الجيل بيروت ١٤١٠هـ ١٩٩٠م ٠

٥- تذكرة الدعاة : للأستاذ البهي الخولي : الطبعة الخامسة دار القلم بيروت ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م ٠

٦- تفسير القرآن العظيم : الحافظ ابن كثير طبعة مكتبة التراث الإسلامي حلب دمشق ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠م ٠

٧- تفسير المنار : الإمام محمد عبده والسيد محمد رشيد رضا٠ طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م٠

٨- التفسير الكبير : للإمام الفخر الرازي أبي عبد الله محمد بن عمر بن حسن القرشي الطبرساني طبعة ٣ دار إحياء التراث العربي بيروت بدون تاريخ.

٩- جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله : للإمام المحدث أبي عمر يوسف بن عبد البر النَّمَرِي القطبي الأندلسي . طبعة دار الفتح بالقاهرة بدون تاريخ .

١٠- الحطابة وإعداد الخطيب : أ.د / عبد الجليل شلبي الطبعة الخامسة : مؤسسة الخليج العربي بالقاهرة ١٤١٢هـ ١٩٩١م.

١١- الخطابة أصولها . تاريخها في أزهي عصورها عند العرب للإمام محمد أبي زهرة . طبعة الفكر العربي بالقاهرة ١٩٨٠م.

١٢- الخطابة في موكب الدعوة : أ . د / محمود محمد عمارة : طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة - رسالة الإمام - العدد ١٥ ربيع أول ١٤٠٧هـ نوفمبر ١٩٨٢م .

١٣- خطباء صنعوا التاريخ : أنور أحمد : طبعة مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة بدون تاريخ.

١٤أ - الدعوة والخطابة : الأستاذ علي عبد العظيم : الطبعة الأولي دار الاعتصام بالقاهرة ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م .

١٤ب- : الدعوة المؤثرة : جمال ماضي ط١ دار الوفاء بالمنصورة ١٤١٥هـ ١٩٩٥م٠

١٥- الرحيق المختوم : للشيخ صفي الرحمن المباركفوري : الطبعة الثانية لرابطة العالم الإسلامي ١٤١١هـ ١٩٩١م ٠

١٦- زاد المعاد في هدي خير العباد : للإمام ابن القيم الجوزية طبعة المطبعة المصرية بالقاهرة ١٩٢٤م٠

١٧- السيرة النبوية : لأبي محمد عبد الملك بن هشام المعافري ٠ تحقيق : د محمد فهمي السرجاني طبعة : الدار التوفيقية بالقاهرة بدون تاريخ٠

١٨- صحيح مسلم : بشرح النووي : المطبعة المصرية ومكتباتها بالقاهرة ١٩٢٤م ٠

١٩- صحيح الترمذي : تحفة الأحوذي للإمام الحافظ أبي العلي محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري . طبعة دار الفكر بدون تاريخ ٠

٢٠- فقه السيرة : د . محمد سعيد رمضان البوطي . الطبعة السابعة دار الفكر ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م ٠

٢١- فن الخطابة : الشيخ علي محفوظ : طبعة دار الاعتصام بالقاهرة ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م٠

٢٢- فن الخطابة : د. أحمد محمد الحوفي أستاذ الأدب العربي بكلية دار العلوم بالقاهرة ط٤ دار الفكر بدون تاريخ .

٢٣- فن الخطابة وتطوره عند العرب د . إيليا حاوي . أستاذ الأدب العربي في دار المعلمين والمعلمات . وكلية بيروت للبنات .

٢٤- فن الإلقاء : عبد الوارث عسر . طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٢م .

٢٥- القاموس المحيط : لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي طبعة الحلبي بالقاهرة بدون تاريخ.

٢٦- كيف ندعوا الناس ؟! . عبد البديع صقر . طبعة (٨) مكتبة وهبه ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

٢٧- محاضرات في علم الخطابة النظرية والعملية : أ. د محمد عبد الغني شامة بالاشتراك .الطبعة الأولي ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م. بدون ذكر مكان طبع أو نشر .

٢٨- مختار الصحاح : للإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي . ترتيب محمود خاطر . طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦م.

٢٩- المضمون : أ.د / محمد محمد أبو زيد الفقي . مكتبة الأزهر الحديثة بطنطا ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.

٣٠- مع الله دراسات في الدعوة والدعـــاة : الشيخ محمد الغزالي
طبعة ٥ دار الكتب الإسلامية بالقاهرة ١٤٠١هـــ ١٩٨١م٠

٣١- المعجم الوسيط : معجم اللغة العربية : طبعة دار المعارف
بمصر ١٤٠٠هـــ ١٩٨٣م٠

٣٢- مقدمة ابن خلدون : عبد الرحمن بن خلدون طبعة دار مكتبة
الهلال بيروت ١٤٠٣هـــ ١٩٨٣م ٠

٢٤- هداية المرشدين : الشيخ علي محفوظ طبعة (٩) دار الاعتصام
بالقاهرة ١٣٩٩هـــ ١٩٧٩م٠

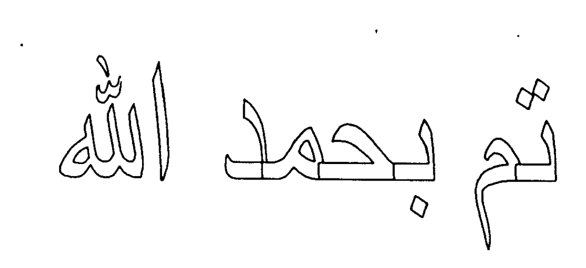
فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة .	٢
المبحث الأول : الخطيب .	٥
منزلة الخطيب ومكانته .	٦
أولا : الاستعداد الفطري .	٨
ثانيا : الدربة المتوالية .	١٢
ثالثا : الثقة بالنفس .	٢٤
مكونات الثقة بالنفس .	٣٣
قدوة الخطيب في مبدأ الثقة بالنفس .	٣٣
رابعا : سرعة البديهة .	٤٤
خامسا : سعة الثقافة .	٥٢
عوامل ضعف الثقافة .	٥٨
سادسا : الفصاحة والبيان .	٦٠
أهمية الفصاحة للخطيب .	٦٥
العيوب التي تعوق الفصاحة .	٧٦
١- اللثغ .	٧٦
٢- الحصر والعي .	٨٦
أسباب الحصر والعي .	٩١
علاج الحصر والعي .	٩٣

٣- الاستعانة .	٩٥
٤- اللجلجة .	٩٨
٥- التمتمة والفأفأة .	٩٩
٦- الحبسة .	١٠٠
٧- الحكلة .	١٠١
٨- اللكنة .	١٠٢
٩- اللفف .	١٠٢
١٠- التشدق . والتقعر . والتعقب .	١٠٣
سابعا : جودة الإلقاء .	١٠٤
أثر الإلقاء الجيد في نجاح الخطبة .	١٠٦
مكونات الإلقاء الجيد .	١٠٨
أ- الوقفة المعتدلة .	١٠٨
هيئة خطباء العرب والمسلمين أثناء الخطبة .	١١٢
متي تكون وقفة الخطيب مؤثرة .	١١٦
ضرورة التريث مع الوقفة المعتدلة .	١١٧
ب- جهارة الصوت .	١١٨
ج- تلوين الصوت وتكييفه .	١٢١
كيف يتمكن الخطيب من تلوين صوته ؟!	١٢٢
و- حسن مخارج الحروف .	١٢٥
هـ- حسن الإشارة .	١٢٦
الإشارة في القرآن الكريم .	١٣١

الإشارة في السنة الشريفة .	١٣٢
أهمية الإشارة للخطيب .	١٣٣
الخطيب الساكن .	١٣٥
متي تكون الإشارة مفيدة ؟!	١٤١
عيوب الإشارة .	١٤٢
ثامنا : حسن الهيئة والمنظر .	١٤٣
تاسعا : الدراية بنفسية السامعين .	١٥٨
عاشرا : القدوة .	١٦٥
المبحث الثاني : زاد الخطباء .	١٧٣
أ- صحيفة بشر بن المعتمر .	١٧٣
ب- صحيفة أهل الهند .	١٧٨
جـ- وصية جعفر بن يحيي .	١٨٢
د- وصية أبي تمام الطائي .	١٨٣
هـ- وصية الجاحظ .	١٨٤
المبحث الثالث : نماذج تطبيقية :	١٨٧
أ- الخطابة النبوية الشريفة .	١٨٧
أولا : هديه صلي الله عليه وسلم في خطبته .	١٨٧
ثانيا : أول خطبة خطبها صلي الله عليه وسلم في	١٨٨
الإسلام .	١٨٩
ثالثا : خطبته صلي الله عليه وسلم في حجة الوداع .	١٩٠

أهم عناصرها:	١٩٥
مكونات موضوعها .	١٩٦
ب:- خطابة الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .	١٩٧
خطبة الجهاد .	٢٠١
تحليلها .	٢٠٤
المراجع .	٢٠٩
الفهرس .	٢١٤



رقم الإيداع

٩٧-٩٢٦١

الترقيم الدولي ١-٢-٠٢-٥٤١٢ ٩٧٧

مكتب الأشول بطنطا